التوحيد

وعند الله تجتمع الخصوم ..

فأعِدُّوا للقاء عُدَّته !!

مجلة ■ إسلامية ■ ثقافية ■ شهرية ● تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ● العدد ٥٠٧ - السنة الثالثة والأربعون - ربيع أول ١٤٣٥ هـ

الثمن جنيهان

لا إله إلا الله محمد رسول الله

حق الجار في الإسلام

الفرق بين النصيحة والتعيير

بيان أنصار السنة المحمدية في أحداث تفجير المنصورة

السلام عليكم

نعمة دعت إليها الفطرة

نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ الله في هذَا الكون، هيَ مَطْلَبُ كُلِّ مخلوق، ورجاءُ كُلِّ حَيٍّ، طَلَبَهَا إبراهيمُ عليه السَّلامُ لأهله، قال تعالَى: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا» [البقرة: ١٢٦]، ذكرها ربنا في سياق امتنانه على بعض خلقه، كأهل قريش، عندما قال تعالَى: «ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ» [قريش: ٤]، إنها نعمة الأمن.

والمؤمنُ الحقُّ يُقدِّرُ نِعَمَ الله تعالَى عليه؛ فيشكرُهُ إنْ أعطاهُ، ويتأمَّلُ في أسباب حرمانه إنْ حُرِم، قال تعالَى: «وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ» [الشورى: ٣٠].

وإن مِنْ أهمِّ أسباب تحصيل هذه النعمة: تحقيق الإيمانُ بالله؛ قال سبحانَهُ: «ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ» [الأنعام: ٨٢]، فضلاً عن عموم طاعة ربنا سبحانه، واتباع سنة نبينا صلى الله عليه وسلم.

وإن من أهم عوامل ضياعها النزاع والشقاق، قالَ تعالَى: «وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ» [الأنفال: ٤٦].

فالحذرَ الحذرَ مِنَ النِّزاع، فإنَّهُ شرٌّ يَجُرُّ إلَى الضياع، والحذرَ الحذرَ مِنَ التحزُّبَات، فإنَّهَا شرٌّ يُؤَدِّي إلى التفكُّك والشتات.

إنَّ حُبَّ الوطَنِ مِنْ أسبابِ أمن المجتمعات، فالإنسانُ إذَا أحبَّ وطنَهُ استشعرَ مسؤوليةَ المحافظة علَى أمْنه.

وفي المقابل فإن بُغض الوطن ومحاولة إغراقه في الفوضى خيانة عظمى، وجريمة كبرى لا تقع من مسلم مخلص، فضلاً عن إنسان سوي.

جعلنا الله لنعَمه شاكرينَ، ولأمن أمتهم مراعين، وبكتاب ربهم وسنة نبيهم مستَمسكين عاملين.

التحرير

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشا، السعودية ٦ ريالات، الامارات ٦ درهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيها بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد. على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج ٢٥ دولارا أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد. أنصار السنة «حساب رقم / ١٩١٥٩٠»

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي: q.tawheed@yahoo.com

التحرير

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

السنة الثالثة والأربعون / العدد : ٥٠٧ - ربيع أول ١٤٣٥

في هذا العدد

٧٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و ٢٦٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

افتتاحية العدد

النهي الصريح عن الغلو في المديح

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على العابد لربه ومولاه نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

وبعدُ:

ففي شهر ربيع الأول من كل عام يحتفل بعض الناس بما أسموه مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ناقشت سابقًا على صفحات مجلة التوحيد الغراء من يقومون بذلك، وأود في هذا اللقاء أن أبيِّن بعضًا من المخالفات العقدية الصريحة التي تحدث في هذا المولد، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

يكثر المشاركون والمخططون لذلك من الغلو في المديح في رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقرءون أشعارًا وينطقون بكلمات لا يرضاها الله ولا رسوله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك:

اعتقادهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول الخلق، وأن خلقه كان قبل خلق العالم بأسره، وفي ذلك يقول ابن عربي: «بدأ العالم ومثاله الهباء والحقيقة المحمدية...، فلم يكن أقرب إليه تعالى- قبولاً من ذلك الهباء إلا حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم- المسماة بالعقل، فكان سيد العالم بأسره، وأول ظاهر في الوجود». [الفتوحات المكية ج٢/٢٢٦].

وقد استدل هؤلاء على قولهم بأحاديث ضعيفة أو موضوعة لا تقوم بها حجة، كالحديث الموضوع: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر». وقد ذكر العلماء أن هذا الحديث لا سند له. قال الألباني: «وفي الحديث إشارة إلى ما يتناقله الناس، حتى صار ذلك عقيدة راسخة في قلوب كثير منهم، وهو أن النور المحمدي هو أول ما خلق الله تبارك وتعالى، وليس لذلك أساس من الصحة، وحديث عبد الرزاق غير معروف إسناده». [السلسلة الصحيحة ج١/٢٠٧].

وللشيخ عبد الله الغماري رسالة بعنوان «مرشد الحيران لبيان حديث جابر» حكم عليه فيها بالوضع.

بطلان ادعاء أن النبي صلى الله عليه وسلم أول الخلق:

كما يستدلون بحديث ضعيف، وهو: «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث». وقد رواه أبو نعيم في دلائل النبوة، كما رواه غيره، والحديث من رواية قتادة السدوسي، ولم يصرح بالسماع من شيخه وهما مدلسان، وفيه سعيد بن بشير الأزدي متكلم فيه، وقد عدَّ الذهبي هذا الحديث من غرائبه. [ميزان الاعتدال (٢/٣٢٠)، وانظر السلسلة الضعيفة ج٢/١١٥].

كما استدلوا بأحاديث صحيحة لا تدل على مرادهم، وليس لهم فيها حجة؛ كحديث ميسرة قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيًا؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»، ومنطوق الحديث يدل على أن الله تعالى كتب عند خلق آدم نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم، وهذا من باب التشريف والتكريم له، وهذه الكتابة لا تنافي الكتابة الأولى في الأزل، وهذا هو المعنى الصحيح لهذا الحديث ولغيره مما صح في هذا الباب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا يغلط كثير من الناس

في قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه ميسرة..، فيظنون أن ذاته ونبوته وجدت حينئذ، وهذا جهل، فإن الله إنما أنبأه على رأس أربعين من عمره، وقد قال له: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ» [يوسف: ٣]، وقال: «وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ» [الضحى: ٧]، وفي الصحيحين أن الملك قال له حين جاءه: اقرأ، فقال: لست بقارئ ثلاث مرات.

ومما يؤكد بطلان ما ذهب إليه هؤلاء شرعًا أن آدم عليه السلام هو أول المخلوقات البشرية، وأن النبي صلى الله عليه وسلم من ذرية آدم، فكيف يتقدم الفرع على الأصل، أو اللاحق على السابق، كما أنه لم يرد شيء من ذلك -مع أهميته- في القرآن الكريم، أو صحيح السنة المطهرة. ولما سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك لم يشر إلا إلى خلق السماوات والأرض كما في حديث عمران بن حصين قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم، قالوا: قد بشرتنا فأعطنا (مرتين)، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: «اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إن لم يقبلها بنو تميم». قالوا: قد قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئنا نسألك عن هذا الأمر. قال: كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض، فنادى مناد: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين، فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب، فوالله لوددت أني كنت تركتها». [البخاري: ٣١٩٢]. و(معنى يقطع دونها السراب: يقطع، بفتح أوله، أي: يحول بيني وبين رؤيتها السراب »،(الفتح ٦: ٢٠٧))

هذا الحديث أصل في الكلام على بدء الخلق، وليس فيه ما يدل على البداية المطلقة، وليس فيه ما يدل على كلام المتصوفة في أول بدء المخلوقات، وأن النبي صلى الله عليه وسلم هو أولها، وقد تكلم القرآن الكريم أيضًا عن خلق المخلوقات وخلق آدم وبني الإنسان والمراحل التي يمر بها، ولم يذكر في موضع واحد أن أول المخلوقات هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجهابذة السنة وعلماء الحديث عند تعرضهم للأحاديث الواردة في بدء الخلق لم يذكروا شيئًا مما ذهب إليه هؤلاء.

وأذكر هنا على سبيل المثال الحافظ ابن حجر رحمه الله فقال في شرحه لكتاب: «بدء الخلق» من صحيح البخاري، قال: «وفيه دلالة على أنه لم يكن شيء غيره، لا الماء ولا العرش ولا غيرهما، لأن كل ذلك غير الله تعالى، ويكون قوله: «وكان عرشه على الماء» معناه: أنه خلق الماء سابقًا، ثم خلق العرش على الماء، وقد وقع في قصة نافع بن الحميري بلفظ: «كان عرشه على الماء»، ثم خلق القلم فقال: اكتب ما هو كائن، ثم خلق السماوات والأرض وما فيهن، فصرح بترتيب المخلوقات بعد الماء على العرش.

ثم ذكر حديث عبادة بن الصامت وهو صحيح، وفيه: «أول ما خلق الله القلم، ثم قال: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة». وجمع بين هذا الحديث والذي قبله فقال: «فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا الماء والعرش، أو

من الغلو الشنيع الذي ذهب إليه المبتدعة ويردده المشاركون في الموالد كثيرًا، قولهم: بأن الدنيا إنما خُلقت من أجل النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا كلام باطل ومن الغلو المذموم، وهو يناقض الوحي الإلهي الذي أخبر فيه أن الله خلق الدنيا والإنس والجن فيها لعبادته وحده دون سواه.

بالنسبة إلى ما منه صدر من الكتابة، أي أنه قيل له: اكتب أول ما خُلِقَ». [فتح الباري ٦/٢٨٩].

ويلاحظ من كلام ابن حجر أنه لم يشر مطلقًا إلى ما ذهب إليه القوم من أن النبي صلى الله عليه وسلم أول المخلوقات، وهذا يدل دلالة واضحة إلى بطلانه، وإلى أنه لم يذهب إليه أحد من العلماء المعتبرين؛ وذلك لأنه لا يوجد دليل واحد على صحة ما ذهبوا إليه.

غلو شنيع وباطل مردود:

ومن الغلو الشنيع الذي ذهبوا إليه، ويردده المشاركون في الموالد كثيرًا، قولهم: بأن الدنيا إنما خُلقت من أجل النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر البوصيري في بردته المشهورة والمعظمة جدًا عند الصوفية ذلك فقال:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من
لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وقد فسَّر عبد العال الحمامصي هذا البيت، وأكَّد ما ذهب إليه البوصيري، فقال: «وفي هذا الذي يقول البوصيري، ترديد لما حفلت به كتب السيرة من أن الدنيا ذاتها من أجل محمد قد خلقها الله سبحانه وتعالى». [انظر البوصيري مادح الرسول الأعظم ص٢٦١].

وهذا كلام باطل ومن الغلو المذموم، وهو يناقض الوحي الإلهي الذي أخبر فيه أن الله خلق الدنيا والإنس والجن فيها لعبادته وحده دون سواه، كما قال تعالى في كتابه: « وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » [الذاريات: ٥٦]، وقد رجَّح الإمام الطبري أن المراد من الآية: أن الله خلق الخلق لعبادته، والتذلل لأمره، وقد أسند ذلك لابن عباس. [انظر تفسيره ج٢٧/٢٨].

وقال القاسمي بعد ذكره للآية: «أي: لهذه الحكمة، وهي عبادته تعالى بما أمر على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم؛ إذ لا يتم صلاح، ولا تُنال سعادة في الدارين إلا بها». [تفسير القاسمي ج١٥/٥٥٣٨].

وقد أمر الله في كتابه النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن بعبادته، وذلك مثل قوله: « بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ » [الزمر: ٦٦]. وكقوله: « وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ » [الحجر: ٩٩]، والمراد باليقين هنا الموت، كما ذكر ذلك ابن كثير عن مجاهد، والحسن وقتادة وغيرهم، ثم قال: «والدليل على ذلك قوله تعالى إخبارًا عن أهل النار أنهم قالوا: « قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ » [المدثر: ٤٣- ٤٧]. (تفسير ابن كثير ٢/٧٥٧).

أشرف مقامات النبي صلى الله عليه وسلم:

النبي صلى الله عليه وسلم كان أول العابدين لله، وقد وصفه الله في مواطن كثيرة من كتابه بالعبودية، وهي أشرف مقاماته صلى الله عليه وسلم، فكيف يقال بعد ذلك بأن الدنيا ما خُلقت إلا من أجله، والقرآن الكريم وحي رب العالمين يكذِّب قولهم كما ذكرت آنفًا، وقد استدلوا من السنة كعادتهم بأحاديث باطلة ليؤيدوا باطلهم، ولا تقوم بها حجة، كحديث: «يا آدم لولا محمد ما خلقتك». وهو حديث موضوع. قال الذهبي رحمه الله: روى عبد الله بن مسلم، عن إسماعيل بن مسلمة عن عبد الرحمن بن زيد خبرًا باطلاً فيه: «يا آدم لولا محمد ما خلقتك». [انظر: ميزان الاعتدال ج٣/٢١٨].

وقال شيخنا العلامة محمد خليل هراس- رحمه الله-: «هذا الحديث باطل، والله لم يخلق آدم ولا غيره من أجل أحد، وإنما خلق الكل لعبادته، كما قال: « وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » [الذاريات: ٥٦]. (هامش الخصائص الكبرى للسيوطي ١/١٧].

وبعد أن ذكر هؤلاء أن النبي صلى الله عليه وسلم، هو أول المخلوقات، ذهبوا إلى أن كل شيء من نور النبي صلى الله عليه وسلم يقول الدباغ في ذلك: «اعلم أن أنوار المكنونات كلها من عرض وفرش وسماوات وأرضين وجنات وحجب، وما فوقها وما تحتها إذا جُمعت كلها، وجدت بعضًا من نور النبي صلى الله عليه وسلم، وأن مجموع نوره لو وُضع على العرش ذاب، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت ولو جُمعت المخلوقات كلها ووُضع ذلك النور العظيم عليها لتهافتت وتساقطت». [الإبريز ج٢/٨٤].

ويقول الحلواني في قصيدة له مخاطبًا النبي صلى الله عليه وسلم، وتسمى هذه القصيدة بالمستجيرة:

أنشاك نورًا ساطعًا قبل الورى
فردا لفرد والبرية في العدم
ثم استمد جميع مخلوقاته
من نورك السامي فيا عظم الكرم

وهذا زور وباطل من القول يرده القرآن الكريم صراحة الذي أخبر الله فيه بخلق الإنسان، ومن أي شيء خُلق، وقد رد عليهم شيخنا العلامة عبد الرحمن الوكيل- رحمه الله- على هذه الفرية، فقال: «الله تعالى يقول: « وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ » [المؤمنون: ١٢- ١٣]، ومحمد صلى الله عليه وسلم إنسان، وإلا فليأتوا له بصفة أخرى، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول:

«خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج، وخُلق آدم مما وصف لكم»، وتحدث الرسول صلى الله عليه وسلم عن النور، وعمن خُلق منه، فلم يذكر عن نفسه أنه خُلق من نور، كما ذكر عن الملائكة، وتحدث عن آدم الأب الأول للبشرية وعن خلقه، وأنه خُلق مما ذكر الله في القرآن، يعني من طين لازب، ومحمد صلى الله عليه وسلم ابن آدم. [هذه هي الصوفية ص٨٧، ص٨٨].

وقوع البوصيري في ألوان من الغلو:

وقع البوصيري في قصيدته البردة في ألوان من الغلو يجب على كل مسلم أن يحذره، كما يجب على العلماء أن ينبّهوا العامة على هذا البطلان، ومما ذهب إليه في قصيدته أن الأنبياء والرسل أخذوا علومهم من النبي صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك يقول:

وكلهم من رسول الله ملتمس
غرفا من البحر أو رشفا من الديم

وهو بهذا يذهب إلى معتقد ابن عربي الضال الموسوم بالزندقة الذي قال: بأن كل العلوم والمعارف مستمدة من النبي صلى الله عليه وسلم، ولم أجد قولاً لأحد من أهل العلم ذهب إلى مثل هذا، ومن المعلوم أن الله تبارك وتعالى هو الذي أرسل الأنبياء والمرسلين قبل النبي الأمين صلى الله عليه وسلم وأوحى إليهم وحيه الذي أنزله عليهم، والقرآن الكريم مليء بقصصهم، وتعلمنا منه أن الله اصطفاهم وعلمهم وزكّاهم، ثم ختم النبوة والرسالة بإمامهم صلى الله عليه وسلم وأمره في كتابه أن يلزم منهج إخوانه من الأنبياء السابقين عليه، فقال له بعد أن ذكر بعضهم: «أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ» [الأنعام: ٩٠]، ومعنى: اقتد أيها الرسول صلى الله عليه وسلم بمن هدى الله من الأنبياء السابقين، فكيف يقال بعد ذلك بأنهم استمدوا العلوم من خاتمهم صلى الله عليه وسلم، وقد أمره الله باتباعهم كما قال الله تعالى: «ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» [النحل: ١٢٣].

وفي قوله تعالى: «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ» [النساء: ١٦٣] دليل صريح وأضح على أن الرسل ينزل عليهم وحي الله تعالى، ولم تفض عليهم العلوم من نور الرسول صلى الله عليه وسلم، وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعرف الكتاب ولا الإيمان قبل أن يوحى إليه، فمن باب أولى أن الرسل لم يأخذوا منه العلوم التي بلغوها لأقوامهم. قال الله تعالى: «وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» [الشورى: ٥٢].

والنبي صلى الله عليه وسلم لم يوجد أثره إلا بعد ولادته، وسطرت كتب السنة والسيرة تاريخه خلال هذه الفترة، وأما قبل ذلك فليس إلا الإخبار عنه بأنه نبي مكتوب ذلك في اللوح المحفوظ، وأما أن نوره وُجد قبل ذلك ومنه استمد الأنبياء علومهم، فهو مما لا يقوم عليه دليل، ولا يحل لمسلم أن يعتقده أو يتغنى به، كما يفعل ذلك أصحاب الموالد والطرقية.

بل أخطأ خطأً أكبر من ذلك بقوله:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن في معادي آخذا بيدي
فضلا وإلا فقل يا زلة القدم
فإن من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم

يقول شيخنا العلامة بن باز رحمه الله معلقا على هذه الأبيات في فتواه(٦/٣٧٠، ٣٧١): جعل هذا المسكين لياذه في الآخرة بالرسول صلى الله عليه وسلم دون الله عز وجل، وذكر أنه هالك إن لم يأخذ بيده، ونسي الله سبحانه الذي بيده الضر والنفع والعطاء والمنع، وهو الذي ينجي أولياءه، وأهل طاعته، وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم هو مالك الدنيا والآخرة، وأنها بعض جوده، وجعله يعلم الغيب، وأن من علومه علم ما في اللوح والقلم، وهذا غلو ليس فوقه غلو، نسأل الله العافية والسلامة، فالواجب على كل مسلم أن يحذر هذا الغلو، وألا يغتر بـ « البردة »، وصاحبها، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله » ا.هـ بتصرف.

وأقوال العلماء أكثر من هذا، ويوجد من الأبيات ما فيه مجال للنقد، لكننا اخترنا بعضاً من ذلك، وهو كاف في بيان المقصود، وهو التحذير من هذه القصيدة، وأنها احتوت على غلو ظاهر

أهل السنة أولى الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم:

وقد يظن ظانّ أننا بهذا الكلام لا نعرف قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا وهم من صاحبه، وإلا فأهل السنة جميعًا من أعرف الناس بقدر ومكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنهم لا يقعون في المحذور الذي وقع فيه غيرهم اتباعًا لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم الذي قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد الله ورسوله». [البخاري: ٣٤٤٥].

والحمد لله رب العالمين.

كلمة التحرير

وعند الله تجتمع الخصوم.. فأعدوا للقاء عُدَّتَهُ!!

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

الحمد لله الذي عزَّ وملَك، ودانت له الأكوان وما دار في الفلك، وبعد:

تعيش مصرنا الحبيبة في أيام عصيبة ، وتمضي وسط أمواج من الفتن يموج بعضها في بعض، وفي ثنايا نوازل تتلاطم أحادها كظلمات في بحر لجيٍّ يغشاه موجٌ من فوقه موج، من فوقه سحاب، وإن النسيم لا يهبّ عليلاً على الوطن على الدوام، وقد تلبدت سماء مصرنا بالغيوم المتراكمة فأرعدت وأبرقت فوقعت التفجيرات، وسفكت الدماء، وتعطلت الجامعات، واشتد الكرُّ والفرُّ في أنحاء مصر، لمن استباحوا لأنفسهم كل شيء، وعشرات القتلى والجرحى يسقطون كل يوم بلا داعٍ ولا وازع، دمار لا يبقي ولا يذر!!

لقد ترك أواخر العام المنصرم بصمات وصورًا يندى لها الجبين على أهل مصر، وفي ظلال الخوف من المآل عاشت مصر ما يزيد على ٢٠٠٣٧ وقفة احتجاجية حتى كتابة هذه السطور، خلال عام ٢٠١٣م، منها ٥٠٥٥ حادثة قطع طرق مما تم تسجيلها، و٢٣٩٨٩ قطعة سلاح تم ضبطها في ظل الانفلات الأمني الذي أصبح معه حمل السلاح وحيازته علامةً لمعظم المصريين، وتم ضبط ١٥٩ ورشة لتصنيع السلاح في مشهد غير مألوف ببلادنا، و١٤٠٦ تشكيلات عصابية، إضافة إلى ٣٤٧١٠ من قضايا المخدرات، و٧٢٧٠١ قضية مخالفة تموينية، وتلاعبًا بأقوات العباد، وقضايا الأحداث التي جعلت أطفال الشوارع كارثة تنذر بالانفجار، وما وقع منها بلغ حتى الآن ١٤١١٤ قضية أحداث، بالإضافة إلى الفساد المستشري عبر ٣٢٢٢ قضية أموال عامة، وإلى الله المشتكى ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

وعند الله تجتمع الخصوم.. فأعدوا للقاء عُدّته

وإذا كانت الأمور قد أوصلتنا إلى هذا الحدّ الذي لم نره من قبل في بلادنا بهذه القسوة والتجرد من المشاعر، ووصل الأمر إلى ما وصل إليه، فالمطلوب الآن من الجميع العودة إلى الصواب، وأن يتذكروا بأن ما يجري على أرض مصر من تفجير وتدمير، وترويع وحرق وقتل، يجعلنا نبرأ من تلك التأويلات الفاسدة التي استباح بها هؤلاء المجرمون دماءً زكيَّة وأرواحًا بريئة دون وجه حق، وأن يُوقن الجميع بأن الأمور كلها بيد الله، ومصائر الخلق كلهم إليه، وعند الله تجتمع الخصوم، فأعدوا اللقاء عُدته، « فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ

﴿ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٥].

وسوف يُحشر الناس حفاة عُراة غرلاً كما خُلقوا أول مرة، وعندها لا فرار من الحساب، ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ [آل عمران: ٢٥]، كل نفس وحدها منفردة مجردة عن الألقاب والإضافات، والزخارف والشارات، ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وفي كتاب الله سُلوانٌ لكل مؤمن، وهداية لكل موقن، ولن يُضيع الله أجر عباده المؤمنين، حتى في أوقات البلاء يرفع الله سبحانه من همة المؤمن ويقويه ويسليه قال الله تعالى لأوليائه: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩- ١٤١]، واطمئنوا.. فإن الباطل لا مستقبل له، وسُنة الله تعالى أن يبتلي عباده لحكمة لا يعلمها إلا هو، وحتى تنقى الصفوف ويتبينَ الغث من السمين، كما قال الله سبحانه: ﴿ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

الإرهاب الأسود لا يُبقي ولا يذر

لقد أيقن الجميع مع اشتداد سلسلة التفجيرات التي انتقلت من سيناء لتضرب ربوع مصرنا الحبيبة في وسط الدلتا، من أجل استهداف الوطن وإشاعة الفوضى، بدعم وتخطيط من أعدائه، أن هناك محاولات دءوبة تَستهدف تمزيق البلاد، وتفتيت وحدتها، وتكدير أمنها، وتناسى هؤلاء أن الإسلام قد شدّد أمر القتل وعظم إثمه، ولم يعصم دم المسلم فحسب، بل عصم دم المسلم ودم الكافر المستأمن، فحرَّم الاعتداء على من أمنَّه المسلمون؛ لأن المسلمين يدٌ على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: «إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الأُمُورِ الَّتِي لاَ مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا: سَفْكَ الدَّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ». [رواه البخاري ٦٨٦٣].

إن محاولة إسقاط مصر، وإغراقها في الفوضى لهو خيانة عظمى، وجريمة كبرى لا تقع من مسلم مخلص، أو وطني صادق، وإن أخطر ما يهدد أمننا القومي: غياب السلم المجتمعي، وانتشار روح الحقد والكراهية والانتقام، ولا مخرج من هذه الأزمة الخطيرة إلا بالعودة إلى دين الله، وتحقيق العدل والقصاص الناجز، والصدق والوضوح في إعلان الحقائق دون خوف من أحد، قال الله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

جدل يُفضي إلى الفشل

إن الله سبحانه استخلف الإنسان في الأرض، وأناطه بعمارتها، وكلّفه بأماناتها، فزوّده سبحانه بالإمكانيات التي تمكّنه من إيصال رسالته، وتعينه على أداء مهمته التي أبت من حملها المخلوقاتُ وأشفقن منها، فحملها الإنسان، فهذه القُدُرات التي تميز بها الإنسان عن نظائره من المخلوقات الأخرى إنما هي مِنَح من الله لهذا الإنسان الظلوم الجهول.

لقد غرقنا في مستنقع الجدل، وتوقفنا تمامًا عن العمل، هذا هو حالنا، وإلى الله مآلنا، فكل تصرف أو إجراء، أو اقتراح يدخل على الفور إلى مزيد من الجدل، كل يدلي برأيه، ويتمسك بأنه الصواب، ويزعم أنه يمتلك الحقيقة المطلقة، ويتفرغ لتسفيه الرأي الآخر.. والنتيجة المحتومة أننا لا نتقدم خطوة واحدة إلى الأمام، وسط انقسامات جديدة، واتهامات متبادَلة.

النخبة تسيطر عليها الحزبية والعصبية

إن النخبة المصرية تسيطر عليها الحزبية والعصبية في السياسة والإعلام والثقافة إلى أقصى مدى، إلى جانب استنساخ مئات الحركات السياسية على الطريقة اللبنانية، والغالبية العظمى منها لا تملك أي وجود حقيقي في الشارع، ولا تظهر إلا في البيانات والفضائيات والإنترنت فقط.

بينما في القرى والمدن والمحافظات ملايين من المصريين لا يهمهم كثيرًا ماذا فعلت لجنة الخمسين، ولا يعرفون الفارق بين النظامين: الرئاسي والبرلماني، وكل ما يهمهم ويشغل بالهم؛ كيف يسير المرء منهم في الشارع آمنًا، يحصل على أسطوانة الغاز دون قتال، ويجد قوت يومه دون أن يفقد حياته.

ألا فليتق الله هؤلاء وهؤلاء في شعب مصر، وكل من تلوثت يده في هذا، عليه أن يرجع، قبل أن يهوي أولئك المتهورون المجازفون بأنفسهم

وبلادهم إلى ما لا تُحمد عقباه، ولينظروا بعين البصيرة ليتضح لهم مواقع الخلل فيما أقدموا عليه، وليعلموا أن حالهم يصدق عليه قول ابن القيم رحمه الله وهو يصف مجموعة من العميان مشوا في ظلمة لا يهتدون سبيلاً، فتصادموا بالأكف والعصيِّ فلا ترى منهم إلاَّ مشجوجًا أو مفجوجًا أو مقتولاً، وتسامع به عميان مثلهم فجاءوا إلى الظلمة كسابقيهم يصلحوا بينهم فلم يزدد الصياح إلاَّ عويلاً!!

فيقول -رحمه الله- مؤكدًا هذا المعنى وناظمه في أبيات رائقة (في كتاب الصواعق المرسلة ٩٨١/٣):

واضرب لهم مثلاً بعميان خلوا
في ظلمة لا يهتدون سبيلا
فتصادموا بأكفهم وعصيهم
ضربا يدير رحا القتال طويلا
حتى إذا ملوا القتال رأيتهم
مشجوجا أو مفجوجا أو مقتولا
وتسامع العميان حتى أقبلوا
للصلح فازداد الصياح عويلا!!

الدستور ومقدرات الأمور

مع تسارع مجريات الأحداث في بلادنا في الأيام الأخيرة، والذي أصبح معها الوضع شديد الخطورة، فإنه ينبغي علينا أن نسبر الأحداث والمدلهمات بعقل، حتى تستبين سبيل المجرمين، وأن نحللها على وجه الإنصاف، وطلب الحق والنصح للمسلمين، وإن الرامق بعين النقد ليرى التراشق بالتُّهَم قد بلغ مرحلة خطيرة.

والطريق الأساسي للخروج من كل أزمة لا يكون إلا بعقل صحيح، وأفق مضيء منبثق من كتاب وسنة ورأي رشيد، ومن المؤسف ألا نجد إلا لائمًا للعلماء فحسب، أو لائمًا للمصلحين والمثقفين فحسب، أو لائمًا للساسة والقادة فحسب، وما القادة والساسة والعلماء والمصلحون إلا جزء من كلّ، فلا ينبغي صبّ اللوم على صنف دون آخر، والحقيقة أن نصيب كل منهم من اللوم يتفاوت بحسب موقع كلٍ من المسئولية التي ألقاها الله على عاتقه؛ حيث يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته». [رواه البخاري ٨٩٣].

إن الحالة المتردية واللا أمن، والفوضى، والعبث، وضياع الأخلاق، واختفاء التراحم بين أهل مصر، وانتشار روح الكراهية بين أفراد الشعب، حتى أصبحوا يتعاملون كشيَع وأحزاب وفرَق انتُزعت من بينهم المودة والرحمة، بل كل الصلات التي أوصانا بها الإسلام؛ لذا وجب علينا أن ننبّه -مستعينين بالله- على عدة أمور من باب النصيحة في الله تعالى:

أولاً: بعد أيام وفي ظل الأحوال السيئة التي تمر بها البلاد سيُطرح الدستور المعدل للاستفتاء عليه، وبدايةً نقول: إن الدستور كأي دستور في العالم، وكأي عمل بشري، ليس قرآنًا، ولكنه عمل بشري، والذي يجب علينا جميعًا كأهل مصر، أن نتجرد لله سبحانه من العداءات، ومن التحزبات، ومن الجماعات، والكتل والنخب، والفرَق والنِّحَل، وأن نضع أمام أعيننا أن هناك جنة ونارًا، وربًا عظيمًا جبارًا، سوف يحاسبنا يوم العرض عليه عن أعمالنا، بل عما ذهبت إليه نياتنا، فهو العليم ببواطن الأمور، عليم بمن أضمر وبما أضمر، عليم بمن أخلص. ندعو المولى سبحانه أن نكون من المخلصين.

أخي الكريم.. ضع أمامك هذا الدستور، واقرأه مرات ومرات، وتناقش فيه مع ذوي الألباب المخلصين من الأهل والأصحاب، تدارس نقاط الخلاف ومواد الاتفاق، وسَلْ أصحاب الخبرة من أهلها، عما قد يختلط على الأفهام، ووازن بين المصالح والمفاسد، واضعًا نصب عينيك مراقبة الله أولاً، فإذا وافق ما اطلعت عليه واعتقدته من الكتاب والسنة والإجماع والقياس حتى لو كان ذلك بالحد الأدنى، فاشهد شهادتك تلك أمام الله، فسوف تُحاسَب عند مَن لا يخفى عليه شيء.

ثانيًا: هناك أشياء كثيرة قد نختلف عليها في دنيا السياسة؛ في الآراء والمواقف، ولكن حين يتعلق الأمر بمستقبل الوطن، وحياة شعب، يصبح الخلاف عبثًا لكل من انقاد إليه، ولم يؤصل هذا الخلاف تأصيلاً يرضي الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد عانى شعبنا من أزمات كثيرة، على مدار ثلاث سنوات مضت، وانقسمنا كما لم ننقسم من قبل، ولم يبق بيننا أسرة واحدة لم تذق مرارة الانقسام، ومارسنا كل ألوان الفوضى والمهاترات، وهذه أشياء حدثت، ويمكن أن تحدث مئات المرات، ولكن حين يتعلق الأمر بمستقبل الشعب، ومصير

الوطن، وحياة الأجيال، يكون الخروج بالوطن من محنته أمرًا حتميًا لا اختياريًا لدفع الأضرار، وكفانا ما وصلت إليه البلاد من فوضى، فينبغي أن يكون الاتفاق هدفًا للجميع وغاية لكل صاحب ضمير حيّ.

ثالثًا: أطالب كل المصريين، باختلاف مواقفهم، أن يذهبوا إلى صناديق الاستفتاء من أجل مصر التي تمدُّ يدها الآن لنا وهي تعيش لحظة من أقسى اللحظات في تاريخها، فإن مصر الأم تنظر الآن إلى كل أبنائها المحبين والمخلصين، والشاردين والمغامرين ترجوهم أن يتجمعوا؛ لأن افتراقهم جريمة، وانقسامهم محنة، وصراعاتهم تحمل آلاف المخاطر، هناك مئات الأزمات التي تعيشها مصر، ولدينا الآن فرصة ذهبية لأن نُعيدها إلى مسارها الصحيح، فلتقرؤوا الدستور بمواده بعد ديباجته، مستعينين بالله تعالى، ثم قولوا كلمتكم؛ قولوها لله سبحانه، بما يمليه عليكم ضمائركم، أيًا كان الرأي، فمجرد المشاركة تحرّك العجلات التي تعطلت طوال ثلاث سنوات مضت.

رابعًا: الدستور المطروح اشتمل على ثلاثة محاور رئيسة:

أ- المواد المتشابهة أو المتقاربة بين دستوري ٢٠١٢ و٢٠١٣م.

ب- المواد التي تم استحداثها في عام ٢٠١٣م.

جـ- المواد التي تم حذفها من دستور عام ٢٠١٢م.

أولا: مجموع مواد دستور ٢٠١٢= ٢٣٦ مادة.

ثانيا: مجموع مواد دستور ٢٠١٣= ٢٤٧ مادة تقريبًا.

ثالثا: عدد المواد المستحدثة في ٢٠١٣= ٤٤ مادة، وعدد المواد المحذوفة من دستور ٢٠١٣= ٣٥ مادة تقريبًا.

خامسًا: عدد المواد المتشابهة بين الدستورين يتجاوز ١٨٠ مادة، لا تخلو من زيادة أو حذف، أو إطلاق أو تقييد، ولكن تبقى فحوى المادة كما هي في الدستورين، وهذا يؤكد أن دستور ٢٠١٣ كان تعديلًا فعليًا لدستور ٢٠١٢ كما تم الإعلان عن ذلك، وليس تأسيسًا لدستور جديد.

أخيرًا وكما ذكرنا آنفًا فإنه لن يكون هناك دستور متكامل يخلو من العيوب، أو يحقق جميع المطلوب لكل الفئات، وإلا لو تم الانتظار حتى يتحقق ذلك، فلن يخرج دستور إلى النور أبدًا، لذا وجب النظر إلى الدستور مادة مادة، ونرى هل تصادم أيّ واحدة منها أصلاً من أصول الدين، أو تُحلّ حرامًا، أو تُحرِّم حلالاً، فإن كان هناك شيءٌ من ذلك فإن الدستور لا بد أن يُرفض تمامًا، ولا ننظر وقتها إلى الموازنة بين الجيد والرديء من المواد، وإن لم يكن كذلك فيجب عندئذ أن نوازن بين الخير والشر الموجود في الدستور من ناحية، ثم نوازن بعد ذلك بين المتاح الموجود وبين المصالح والمفاسد، وبين البديل المجهول من ناحية أخرى ، ثم نحدد موقفنا بناءً على ذلك.

يا حسرة على العباد !!

في واحدة من الضربات الموجعة تطالعنا صحيفة معاريف الإسرائيلية بخبر يحزن قلب كل مسلم غيور على دينه ، ومفاده أن مئات الطلاب العرب من مصر وسوريا والسعودية والكويت قد سجلوا أسماءهم للانضمام لدراسة النانوتكنولوجي، ومتابعة المحاضرات عبر الإنترنت بداية من شهر مارس المقبل بمعهد الهندسة التطبيقية «التخنيون» بإسرائيل.

وتقول الصحيفة: إن عددًا كبيرًا من مواطني الدول العربية أبدوا اهتمامًا بهذا الكورس؛ لأنه الأول الذي يتم تدريسه باللغة العربية، ويشرف عليه أستاذ جامعي يدعى حسام حاي المدرّس بمعهد التخنيون، والمتخصص في مجال الهندسة الكيميائية، وقد قام بالدخول على الموقع كما تقول الصحيفة ١٢٤٣ مواطنًا من سوريا، ٥٥٩٥ من مصر، ١٨٦٥ من الكويت، ١٢٢١ من السعودية، قام عدد منهم بالتسجيل بعد دخولهم؛ حيث سجل ٧٠٠ طالب من السعودية، وأكثر من ٦٠٠ من مصر، ومن سوريا نحو ٥٠٠، بالإضافة إلى ٣٧٣٠ من إسرائيل.

وإن تعلم فلذات أكبادنا في دولة معادية للإسلام ليمثل خطرا ، وإن إنشاء علاقة طبيعية مع دولة معادية ومغتصبة لدولة عربية هي فلسطين، وأجزاء من سوريا ولبنان، يمثل في ذاته معصية لله، «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ» [الممتحنة : ١]، وهو من التطبيع المرفوض.

أسأل الله سبحانه أن ينعم على مصر وأهلها بالأمن والأمان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة فصلت

الحلقة الثانية

«قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ
مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ
لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ
أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً
مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ
شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (١٤) فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ
أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ
(١٦) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧)
وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ» [فصلت: ٩- ١٨].

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

دلائل التوحيد:

قال الرازي -عَفَا اللهُ عَنْهُ-:

اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَمَرَ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم في الآيَةِ الأُولَى أَنْ يَقُولَ: «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ» أَرْدَفَهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِثْبَاتُ الشَّرِكَةِ بَيْنَهُ تَعَالَى وَبَيْنَ هَذِهِ الأَصْنَامِ في الإِلَهِيَّةِ وَالْمَعْبُودِيَّةِ، وَذَلِكَ بِأَنْ بَيَّنَ كَمَالَ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ في خَلْقِ السموات وَالأَرْضِ في مُدَّةٍ قَلِيلَةٍ، فَمَنْ هَذَا صِفَتُهُ كَيْفَ يَجُوزُ جَعْلُ الأَصْنَامِ الْخَسِيسَةِ شُرَكَاءَ لَهُ فِي الإِلَهِيَّةِ وَالْمَعْبُودِيَّةِ؟. [التفسير الكبير (٢٧/٥٤٣)].

يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: «قُلْ» يا نبينا لهؤلاء المشركين: «أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا»؟! الاستفهام للإنكار والتوبيخ، والمعنى: كيف تكفرون بالله الخالق، وتجعلون له أندادًا في العبادة، وأنتم تعلمون أنه لا ند له في الخلق، «أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» [النحل: ١٧].

وقوله تعالى: «ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ» معناه: الَّذِي فَعَلَ هَذَا الفِعْلَ، وَخَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ، مَالِكُ جَمِيعِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ، وَسَائِرِ أَجْنَاسِ الْخَلْقِ، وَكُلِّ مَا دُونَهُ مَمْلُوكٌ لَهُ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ نِدٌّ؟ هَلْ يَكُونُ الْمَمْلُوكُ الْعَاجِزُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ نِدًّا لِمَالِكِهِ الْقَادِرِ عَلَيْهِ؟! [جامع البيان (٢٤/٩٥)].

والمراد باليومين الأحد والاثنين، «وَجَعَلَ فِيهَا» أي في الأرض، «رَوَاسِيَ» جبالاً ثوابت، «مِنْ فَوْقِهَا»، مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ، «وَبَارَكَ فِيهَا»، أَيْ فِي الأَرْضِ بِمَا خَلَقَ فِيهَا مِنَ الْبِحَارِ وَالأَنْهَارِ وَالأَشْجَارِ وَالثِّمَارِ، «وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا» قَالَ الْحَسَنُ وَمُقَاتِلٌ: قَسَّمَ فِي الأَرْضِ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ وَالْبَهَائِمِ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ وَالضَّحَّاكُ: قَدَّرَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ مَا لَمْ يَجْعَلْهُ فِي البلدة الأُخْرَى، لِيَعِيشَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ بِالتِّجَارَةِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ.

قَالَ الْكَلْبِيُّ: قَدَّرَ الْخُبْزَ لِأَهْلِ قُطْرٍ، وَالتَّمْرَ لِأَهْلِ قُطْرٍ، وَالذُّرَةَ لِأَهْلِ قُطْرٍ، وَالسَّمَكَ لِأَهْلِ قُطْرٍ، وَكَذَلِكَ أَقْوَاتُهَا.

«فِي أَرْبَعَةِ أَيَّام»، يُرِيدُ خَلْقَ مَا فِي الْأَرْضِ وَقَدَّرَ الْأَقْوَاتَ فِي يَوْمَيْنِ: يَوْمُ الثلاثاء وَالْأَرْبعاء، فَهُمَا مَعَ الْأَحَدِ وَالِاثْنَيْنِ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ، رَدَّ الْآخِرَ عَلَى الْأَوَّلِ فِي الذِّكْرِ، كَمَا تَقُولُ: تَزَوَّجْتُ أَمْسِ امْرَأَةً وَالْيَوْمَ ثنتين، وإحداهما هي التي تزوجها بالأمس.

«سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ» وَمَعْنَاهُ: سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ عَنْ ذَلِكَ. قَالَ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: مَنْ سَأَلَ عَنْهُ فَهَكَذَا الْأَمْرُ سَوَاءٌ، لَا زِيَادَةَ وَلَا نُقْصَانَ، جَوَابًا لِمَنْ سَأَلَ: فِي كَمْ خُلِقَتِ الْأَرْضُ وَالْأَقْوَاتُ؟ [تفسير البغوي (٥/٥٨)].

«ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء» أي علا وارتفع «وَهِيَ دُخَانٌ» وهو بخار الماء المتصاعد من الأرض، «فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا»: أي افعلا ما أمركما به، طوعًا أو كرهًا، فلا بد من الفعل.

قال العلماء: قال الله تعالى للسماء: أخرجي شمسك وقمرك ونجومك. وقال للأرض: أخرجي أنهارك وبحارك، وأشجارك وثمارك، «قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ».

«فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ» هما الخميس والجمعة، «وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا» أي ألقى في كل سماء ما أراد من الخلق، «وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا»، فجعل الله تعالى النجوم زينة للسماء، وحفظًا من الشياطين أن تسترق السمع، كما قال تعالى: «وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ» [الملك: ٥]، وقال تعالى: «إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧) لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ» [الصافات: ٦- ١٠].

وقوله تعالى: «ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» يقول سبحانه: ذلك الذي ذكرت لكم من خلق السموات والأرض وما فيهن، تقدير العزيز الذي قهر بعزته كل شيء، وهو العليم بكل شيء، «فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [غافر: ٦٥].

قال ابن كثير- رَحِمَهُ اللهُ-: وَهَذَا الْمَكَانُ فيه تَفْصِيلٌ لقوله تعالى: «إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» [الْأَعْرَاف: ٥٤] فَفَصَّلَ هَاهُنَا مَا يَخْتَصُّ بِالْأَرْضِ مِمَّا اخْتَصَّ بِالسَّمَاءِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ خَلَقَ الْأَرْضَ أَوَّلًا لِأَنَّهَا كَالْأَسَاسِ، وَالْأَصْلُ أَنْ يُبْدَأَ بِالْأَسَاسِ ثُمَّ بَعْدَهُ بِالسَّقْفِ، كَمَا قال عز وجل: «هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» [البقرة:٢٨]، فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: «أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ» [النَّازِعَات: ٢٧- ٣٣].

فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ دَحْيَ الْأَرْضِ كَانَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، فَالدَّحْيُ هُوَ مُفَسَّرٌ بِقَوْلِهِ: «أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا» [النازعات: ٣١]، وَكَانَ هَذَا بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، فَأَمَّا خَلْقُ الْأَرْضِ فَقَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ بالنص، وبهذا أجاب ابن عباس رضي الله عنه فِيمَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ صحيحه فَإِنَّهُ قَالَ:

وَقَالَ الْمِنْهَالُ-رَحِمَهُ اللهُ-: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ-رَحِمَهُ اللهُ-: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عباس رَضِيَ اللهُ عنه: إِنِّي لَأَجِدُ فِي الْقُرْآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ. وذكر أشياء، منها: قَالَ: قال تعالى: «أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ» [النَّازِعَات: ٢٧- ٣٣]. فذكر خلق السماء قبل الأرض. ثم قال تعالى: «قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا» إلى قوله تعالى: «طَائِعِينَ» فَذَكَرَ فِي هَذِهِ خَلْقَ الْأَرْضِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ.

فقال ابن عباس رضي الله عنه: خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ، ثُمَّ دَحَى الْأَرْضَ، وَدَحْيُهَا أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَاءَ وَالْمَرْعَى، وَخَلَقَ الْجِبَالَ والرمال وَالْجَمَادَ وَالْآكَامَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، فذلك قوله تعالى: دَحَاهَا.

وقوله: خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ فخلق الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَرْبَعَةِ أيام، وخلق السموات فِي يَوْمَيْنِ.

ثم قال ابن عباس رضي الله عنه: فَلَا يَخْتلفنَّ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ؛ فَإِنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِ الله عز وجل [تفسير ابن كثير(٤/٩٢و٩٣)، وفتح الباري(٨/٥٥٥و٥٥٦)].

إنذار المصرين على الشرك:

« فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ » [فصلت: ١٣-١٨].

لما بيَّن الله تعالى دلائل التوحيد بما لا يدع مجالًا للشك، قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: «فَإِنْ أَعْرَضُوا» عن هذه الآيات، ولم يؤمنوا لك، «فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَة عَاد وَثَمُودَ» يعني هلاكًا مثل هلاكهم، والصاعقة هي المهلكة من كل شيء.

قَالَ الإمام العالم عَبْدُ بْنُ حُمَيْد - رَحِمَهُ اللهُ- فِي مُسْنَدِه: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنِ الأَجلح عَنِ الزيال بْنِ حَرْمَلَةَ الأَسَدِيِّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ الله عنه قَالَ: اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ يَوْمًا، فَقَالُوا: انْظُرُوا أَعْلَمَكُمْ بِالسِّحْرِ وَالْكِهَانَةِ وَالشِّعْرِ، فليأت هذا الرجل الذي فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، فَلْيُكَلِّمْهُ، وَلْنَنْظُرْ مَاذَا يَرُدُّ عَلَيْه. فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُ أَحَدًا غَيْرَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، فَقَالُوا: أَنْتَ يَا أَبَا الْوَلِيد. فَأَتَاهُ عُتْبَةُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الله؟ فَسَكَتَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم. فَقَالَ: أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمطَّلب؟، فَسَكَتَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم. فَقَالَ: إِن كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنْكَ، فَقَدْ عَبَدُوا الآلِهَةَ الَّتِي عِبْتَ. وَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْهُمْ فَتَكَلَّمْ حَتَّى نَسْمَعَ قَوْلَكَ، إِنَّا وَالله مَا رَأَيْنَا سَخْلَةً قَطُّ أَشْأَمَ على قومك مِنك، فَرَّقْتَ جَمَاعَتَنَا وَشَتَّتَّ أَمْرَنَا، وَعِبْتَ دِينَنَا وَفَضَحْتَنَا فِي الْعَرَبِ، حَتَّى لَقَدْ طَارَ فِيهِمْ أَنَّ فِي قُرَيْشٍ سَاحِرًا، وَأَنَّ فِي قُرَيْشٍ كَاهِنًا، والله ما نَنتظِرُ إِلَّا مِثْلَ صَيْحَةِ الْحُبْلَى، أَنْ يَقُومَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ بِالسُّيُوفِ حَتَّى نَتَفَانَى.

أَيُّهَا الرَّجُلُ! إِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْحَاجَةُ، جَمَعْنَا لَكَ حتى تكونَ أغنى قريشٍ رجلًا واحدًا، وإن كَانَ بِكَ الْبَاءَةُ، فَاخْتَرْ أَيَّ نِسَاءِ قُرَيْشٍ شِئْتَ، فَلْنُزَوِّجْكَ عَشْرًا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((فَرَغْتَ))؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحِيم «حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» حَتَّى بَلَغَ- «فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَة عَاد وَثَمُودَ» فَقَالَ عُتْبَةُ: حَسْبُكَ! حسبك! مَا عندك غير هَذَا، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((لَا)). فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ، فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَرَى أَنَّكُمْ تُكَلِّمُونَهُ به إِلَّا كَلَّمْتُهُ، قَالُوا: فَهَلْ أَجَابَكَ؟ قَالَ: لَا وَالَّذِي نَصَبَهَا بنيةً، مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مما قاله، غَيْرَ أَنَّهُ أَنْذَرَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَة عَاد وثمود، قالوا: ويلك! يكلمك الرجل بالعربية لَا تَدْرِي مَا قَالَ؟ قَالَ: لَا وَالله مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ ذِكْرِ الصَّاعقة. [تفسير ابن كثير(٤/٩٠)].

ثم فسَّر الله تعالى كيف أخذت الصاعقة عادا وثمود، فقال: «إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ».

يعني أن الرسل عليهم السلام بذلوا جهدهم في دعوة أقوامهم، وأتوهم من كل طريق، ودخلوا عليهم من كل الجهات، وفي كل الأوقات، كما قال نوح عليه السلام: « قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا» [نوح: ٥- ٩].

فما كان جواب القوم إلا أن: «قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ»:

يعنون: ما أنتم إلا بشر مثلنا، فكيف فضَّلكم الله علينا؟! لو أراد الله أن يرسل إلينا رسلاً لأنزل علينا ملائكة من السماء، فما نحن لكم بمؤمنين، ولكنا بما أرسلتم به كافرون.

كان هذا موقف كل من عاد وثمود، فحقت عليهم كلمة العذاب، وأخذتهم الصاعقة، على النحو التالي:

«فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ»: وكلمة «بِغَيْرِ الْحَقِّ» جاءت لزيادة التشنيع عليهم؛ لأن المتكبر بالحق هو الله، كما سمى نفسه، وكما في الحديث: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ). [صحيح مسلم ٢٠٢٣].

«فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا» لنبيهم هود عليه السلام: «مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً» يعنون: بأيّ قوة تهددنا، ونحن القوة العظمى على وجه الأرض، وكان الله تعالى زادهم بسطة في الجسم، فلم يكن لهم نظير في قوة أبدانهم، كما قال تعالى: « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ» [الفجر: ٦- ٨]، وقد دعاهم هود عليه السلام إلى شكر الله عز وجل على هذه النعمة، فقال: «وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [الأعراف:٦١]، فكفروا نعمة الله، فأنذرهم هود عليه السلام عذاب الله، فاغتروا بقوتهم، وظنوا أنها مانعتهم من الله، «وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً» حتى تهددنا به! قال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً»؟! فقوة الإنسان ليست ذاتية، وإنما هي من الله، «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ» [الروم: ٥٤]، فالله تعالى هو القوي، وهو خالق القوة وواهبها لمن يشاء، ومتى شاء سلبها ممن يشاء، ولكنهم قوم يجهلون ويجحدون، كما قال تعالى: «وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ».

فلما أراد الله تعالى أن يزيل هذه القوة العظمى من على وجه الأرض، ما أرسل عليهم طيرًا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، ولا أنزل عليهم جندًا من السماء، ولكن أرسل عليهم الهواء فأهلكهم عن آخرهم.

قال تعالى: «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ»، وقال تعالى: « وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ» [الحاقة: ٦- ٨]، وقال تعالى: « كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٨ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ» [القمر: ١٨- ٢١].

وهكذا أهلك الله عادًا وعذَّبهم في الدنيا، «وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ».

«وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى»: المراد بالهداية التي حصلت لهم هداية الدلالة والبيان والإرشاد، التي يقوم بها الرسل، كما قال تعالى: «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا » [الإنسان: ٢- ٣]، فصالح عليه السلام قد دعا قومه إلى توحيد الله، ولفت أنظارهم إلى دلائل التوحيد، فعموا وصموا، واشتروا الضلالة بالهدى،«فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ» وهم صالح ومن آمن معه.

فالواجب على كفار قريش وغيرهم أن يعتبروا بما أصاب الكفار من قبلهم، وأن يحذروا أن يصيبهم مثل ما أصابهم، فإن الله إن أمهلهم لن يهملهم، كما قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ). قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ «وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ» [هود: ١٠٢] [صحيح البخاري: ٣٥٤].

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



أسئلة القراء عن الأحاديث

المحدث

كتبه/ أبو إسحاق الحويني

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

نواصل في هذا العدد الإجابة عن أسئلة القراء عن الأحاديث فنقول وبالله تعالى التوفيق:

١- سئلت عن حديث: « لم يعش نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله».

قلت: هذا حديث منكر.

أخرجه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول « (٢٩٦)، والطبراني في « الكبير « (ج ٣ / رقم ٢٦٨٣ و ٣٠٥٢)، وأبو نعيم في « الحلية « (١ / ٣٥٥)، وابن عساكر في « تاريخ دمشق « (٤٢ / ٢١٩) عن نصر بن عبد الرحمن الوشاء. والطبراني في « الكبير « (٣٠ ٥٢) عن سعيد بن سليمان الواسطي، قالا: ثنا زيد بن الحسن الأنماطي، ثنا معروف بن خربوذ، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد قال: لما صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن ينزلوا تحتهن، ثم بعث إليهم فقمّ ما تحتهن من الشوك، وعمد إليهن فصلى تحتهن، ثم قام فقال: «يا أيها الناس! إني قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله، وإني لأظن أني موشك أن أُدعى فأجيب، وإني مسئول، وإنكم مسئولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلّغت وجهدت ونصحت، فجزاك الله خيرًا. فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن جنته حق وناره حق، وأن الموت حق، وأن البعث حق بعد الموت، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: اللهم ! اشهد.

ثم قال: أيها الناس ! إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه - يعني: عليًا رضي الله عنه - اللهم والِ من والاه. وعادِ مَن عاداه. ثم قال: يا أيها الناس ! إني فرطكم، وإنكم واردون عليّ الحوض: حوضي ما بين بصرى إلى صنعاء، فيه عدد النجوم قدحان من فضة. وإني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر: كتاب الله عز وجل، سببٌ طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به، لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض».

قلت: وهذا حديث منكر بهذا التمام، وزيد بن الحسن منكر الحديث كما قال أبو حاتم، ولا عبرة بتوثيق

ابن حبان إياه وقد خُولف معروف بن خربوذ، خالفه حكيم بن جبير فرواه عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم قال: نزل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجحفة ثم أقبل على الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إني لا أجد لنبي إلا نصف عمر الذي قبله ..». وساق الحديث بتمامه.

أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج٥ / رقم ٤٩٧١) قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا جعفر بن حميد (ح) وحدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا النضر بن سعيد أبو صهيب قالا: ثنا عبد الله بن بكير عن حكيم بن جبير بهذا الإسناد.

وهذا إسناد ضعيف جدًا. وحكيم بن جبير منكر الحديث، تركه شعبة والدارقطني، وقال يحيى القطان وابن مهدي: إنما روى أحاديث يسيرة، زاد ابن مهدي: وفيها منكرات.

قلت: وإذا كان الراوي مُقلاً ويروي المناكير فهو تالفٌ.

ولبعض فقرات هذا الحديث شواهد صحيحة، منها ما يتعلق بالحوض.

أما قوله: ((كتاب الله سببٌ طرفه بيد الله.. إلى قوله: لن تهلكوا أبداً)) فأخرجه ابن أبي شيبة (٢٢٢/١٠) وعبد بن حميد في المنتخب (٤٨٢) ، وابن حبان (١٢٢)، والطبراني في (الكبير) (ج٢٢/رقم٤٩١) والبيهقي في «الشعب» (١٩٤٢، ٢٠١٣) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١٩٢) من طريق أبي خالد الأحمر عن عبد الحميد بن جعفر عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي شريح الخزاعي، قال: خرج علينا رسول الله فقال: ((أبشروا ! أبشروا !، أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله!))، فقالوا: نعم. قال: ((فإن هذا القرآن سبب..... إلخ)).

قال شيخنا رحمه الله في «الصحيحة» (٧١٣): «صحيح على شرط مسلم».

ونقل عن المنذري أنه قال: إسناده جيد.

قلت: هو معل بالمخالفة. فقد رواه الليث بن سعد، عن سعيد بن أبي سعيد، عن نافع بن جبير بن مطعم مرسلاً.

أخرجه أبو الحسين الكلابي في ((حديثه)) (١/٢٤٠) كما قال شيخنا، وقال: هذا مرسل صحيح الإسناد وهو أصح من الموصول.

كذا ! وهو علة الموصول، إذ إن الليث بن سعد خالف عبد الحميد بن جعفر في إسناده، والليث بن سعد من أثبت الناس في سعيد المقبري، كما قال أحمد وغيره، فقد أرسله.

وعبد الحميد بن جعفر وثَّقه أكثر العلماء، وقال النسائي في رواية: ((ليس بالقوي))، فالصحيح في هذا الحديث أنه مرسل.

وأشار البيهقي إلى رواية الليث هذه. ونقل عن البخاري قال: هذا أصح، يعني: المرسل.

وقد رواه الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه، قال: ((كنا مع رسول الله بالجحفة فخرج علينا فقال: ((أليس تشهدون أن لا إله إلا الله.... إلخ)) أخرجه البزار (١٢٠- كشف)، والطبراني في « الكبير» (ج٢/رقم١٥٣٩) عن عمرو بن علي الفلاس. والبزار أيضًا، قال: ثنا علي بن مسلم. وأخرجه الطبراني في « الصغير» (١٠١٨). وعنه أبو نعيم في « أخبار أصبهان « (٢٥٩/٢) عن عبد الرحمن بن عمر رستة قالوا: ثنا أبو داود الطيالسي، ثنا أبو عباد الزرقي الأنصاري، عن الزهري بهذا.

قال البزار: لا نعلمه يروى عن جبير إلا من هذا الوجه.

قال الطبراني: ((لم يروه عن الزهري إلا أبو عبادة عيسى بن عبد الرحمن الزرقي المدني، تفرد به أبو داود، ولم يحدث به أبو داود إلا بالبصرة)).

قلت: وهذا سند ضعيف جداً، وعيسى بن عبد الرحمن متروك.

٢- وسئلت عن حديث: (ما حسَّنَ اللهُ خَلقَ رجلٍ وَخُلُقَه، فتَطْعَمَه النار).

قلتُ: هذا حديث منكر.

أخرجه الطبراني في « الأوسط « (٦٧٨٠) قال: حدثنا محمد بن أبي زرعة الدمشقي. وفي « مكارم الأخلاق « (١٠) . والبيهقي في « الشعب « (٣٠٣٨)، عن عبدان الجواليقي - واسمه عبد الله بن أحمد بن موسى - . وابن عدي في « الكامل « (٣ / ٨٢) قال: أنا القاسم بن الليث. وابن عساكر في « تاريخ دمشق « (٥٦ / ١٠٨) عن محمد بن سليمان بن مهران النيسابوري. وابن شاهين في « الترغيب « (٣٥٨)، ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات « (٣٤١) قال: ثنا الباغندي، قالوا: ثنا هشام بن عمار، ثنا عبد الله بن يزيد البكري، ثنا أبو غسان محمد بن مطرف، سمعت داود بن فراهيج، سمعت أبا هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ما حسّن الله

خَلْق رجل وخُلُقه فتطعمه النار».
قال ابن عدي: «وهذا الحديث بهذا الإسناد في إسناده بعض النكرة، ولا أعلم يرويه عن داود غير أبي غسان».
قال الطبراني: « لم يرو هذا الحديث عن داود بن فراهيج إلا أبو غسان، ولا عن أبي غسان إلا عبد الله بن يزيد البكري، تفرد به هشام بن عمار».
قُلت: كذا قال ! ولم يتفرد به عبد الله بن يزيد البكري وهو ذاهب الحديث كما قال أبو حاتم (٢ /٢ / ٢٠١)، فتابعه سوار بن عمارة، قال: ثنا محمد بن مطرف بهذا الإسناد.
أخرجه البيهقي في « الشعب « (٣٠٣٨) معلقاً ووصله ابن عدي (٣ / ٨٢) قال: أنا علي بن محمد بن حاتم، ثنا حميد بن داود، ثنا سوار بن عمارة بهذا. وحميد بن داود لم أظفر بترجمته. وسوّار فأكثر العلماء على تقوية أمره، ولكن قال ابن حبان في «الثقات» (٨ / ٣٠٢): «ربما أخطأ».
وقد عصب ابن عدي نكارة هذا الحديث بداود بن فراهيج؛ إذ وضعه في ترجمته وتبعه الذهبي في « ميزانه « (٢ / ١٩)، وكذلك أعله ابن الجوزي به فتعقبه السيوطي في « اللآلئ « (١ / ١١٩) بقوله: « وأما داود فقد وثقه طائفة. قال يحيى القطان: ثقة، وقال ابن معين أيضاً والعجلي: لا بأس به. وقال ابن عدي: لا أرى بمقدار ما يرويه بأساً، قال أبو حاتم: ثقة صدوق، وذكره ابن شاهين في « الثقات «.انتهى. والذي وجدته في « الجرح والتعديل « (٢ / ١ / ٢٧٣) قال: «صدوق « فقط ولم يذكر: « ثقة». وإنما أراد السيوطي أن يرد على ابن الجوزي في دعواه أن الحديث موضوع وهو محق في هذا، ولا يمنع أن يكون داود أخطأ فيه كما استظهره ابن عدي، وهو قد تفرد بهذا الحديث عن أبي هريرة، ويبعد أن يكون الواهم فيه هو محمد بن مطرف فهو أقوى من داود.
وله طريق آخر عن أبي هريرة أخرجه تمام الرازي في « الفوائد « (٦٦١) من طريق محمد بن زكريا الغلابي، ثنا العباس بن بكار الضبي، ثنا أبو بكر الهذلي، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً مثله. وهذا إسناد ساقط للغاية؛ فالغلابي اتهمه الدارقطني بالوضع، والعباس بن بكار قال الدارقطني: « كذاب «. وخاله أبو بكر الهذلي كذّبه غندر، وقال ابن معين: « ليس بشيء «. ولهذا الحديث شاهد من حديث ابن عمر، أخرجه ابن الجوزي في « الموضوعات « (٣٣٩)، من طريق عمر بن جعفر بن سلم، ثنا عمرو بن فيروز التوزي، ثنا عاصم بن علي، ثنا ليث بن سعد، عن نافع عن ابن عمر فذكره بحروفه. قال ابن الجوزي: « فيه عاصم بن علي قال يحيى: ليس بشيء فرده السيوطي في « اللآلئ « (١ / ١١٨) بقوله: أما عاصم فهو أبو الحسين الواسطي، روى عنه البخاري في « الصحيح « فكيف يعاب الحديث به «.
قلت:
وعندي أن تبعة هذا الحديث على الراوي عن عاصم، وقد ترجمه الذهبي في « ميزانه» (٣ / ٢٨٤)، والحافظ في « لسانه « (٦ / ٢٢٢) وقالا: أتى عن عاصم بن علي شيخ البخاري بخبر موضوع لعله آفته. وترجمه الخطيب في «تاريخ بغداد « (١١/ ٢١٤) باسم: « عُمر « بضم أوله وقال يعرف بالتوزي حدث عن عاصم بن علي، وعنه عمر بن سلم الختلي، وأورد في ترجمته حديث ابن عباس مرفوعاً «ورأيت ربي تعالى في صورة شاب أمرد عليه حلة حمراء»، وهذا كذبٌ، وعهدة هذا الخبر على التوزي هذا.
وأخرجه ابن عدي في « الكامل» (٢ / ٧٥١) ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات « (٣٤٠) قال: حدثنا الحسن بن علي العدوي، ثنا لؤلؤ بن عبد الله أبو بكر وكامل بن طلحة، قالا: ثنا الليث بن سعد، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر (سقط ذكر: « عمر» من كتاب ابن الجوزي) مرفوعاً: « ما أحسن الله خلق رجل وخُلقه فأطعمه الله النار».
وهذا إسناد في غاية السقوط، قال ابن عدي: « وهذا الحديث باطل بهذا الإسناد، وعندنا نسخة الليث، عن نافع عن ابن عمر، عن غير واحد عن الليث، وما فيه شيء من هذا «.
قلت:
والحسن بن علي بن صالح قال فيه ابن عدي: «يضع الحديث، ويسرق الحديث، ويلزقه على قوم آخرين، ويحدّث عن قوم لا يُعرَفون، وهو متهم فيهم، أن الله لم يخلقهم». وممن نص ابن عدي على أنهم لا يعرفون: « لؤلؤ بن عبد الله « شيخه في هذا الحديث. وله شاهد عن أنس مرفوعاً بلفظه أخرجه ابن الجوزي في « الموضوعات « (٣٤٢) بإسناد ساقط. والله أعلم.

عبادة التواضع... إكرام لأهل الإيمان

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد.

سبحان الله الذي حكم على هذه الدنيا أنها إلى زوال، وأنها ليست بدار قرار؛ فأهلها عنها راحلون، وصلحاؤها وطلحاؤها زائلون، الكل زائل ويفني، ولا يبقى إلا وجه ربنا الأعلى، «وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا» [الكهف: ٤٦].

فلا متكبر يبقى في تكبره ولا متجبر يبقى في تجبره، فمهما علا وتجبر فأمره إلى خزي وزوال، هكذا الدنيا بأهلها وتلك سُنة باقية.

وفي هذا المعنى نعيش ما قدّر لنا مع ما حدث به إمام المحدثين البخاري رحمه الله يقول: حدثنا مَالِكُ بن إِسْمَاعِيلَ حدثنا زُهَيْرٌ عن حُمَيْدٍ عن أَنَسٍ رضي اللهُ عنه قال: كان للنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم نَاقَةٌ تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ؛ لَا تُسْبَقُ. قال حُمَيْدٌ: أو لَا تَكَادُ تُسْبَقُ. فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ على قَعُودٍ فَسَبَقَهَا، فَشَقَّ ذلك على الْمُسْلِمِينَ حتى عَرَفَهُ، فقال: حَقٌّ على اللَّهِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ من الدُّنْيَا إلا وَضَعَهُ. طَوَّلَهُ مُوسَى عن حَمَّادٍ عن ثَابِتٍ عن أَنَسٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم.

أولاً: العزو (مقتصرًا على الكتب الستة):

١- البخاري، كتاب الجهاد، باب ناقة النبي صلى الله عليه وسلم (٢٧١٧) (١٠٥٣/٣)، وكذا في كتاب الرقاق، باب التواضع (٦١٣٦).

٢- أبو داود، كتاب الأدب، باب كراهية الرفعة في الأمور (٤٨٠٣)(٢٥٤/٤).

٣- النسائي (المجتبى)، كتاب الخيل، باب السبق (٣٥٨٨)، (٣٥٩٢) (٢٢٧/٦) بلفظ: (حق على الله أن لا يرفع شيءٌ نفسَه في الدنيا إلا وضعه).

فائدة: من ترجمة البخاري على الحديث:

١- بوَّب له البخاري بباب ناقة النبي (بالإفراد) في كتاب الجهاد: ليدلل البخاري على مذهبه أن العضباء هي القصواء هي الجدعاء؛ فكلها ألقاب لناقة واحدة، (هذه الفائدة إضافة للفوائد الأخرى التي سيأتي ذكرها) (أفاده العيني في عمدة القاري(١٦٢/١٤)).

٢- كذلك بوَّب بباب التواضع في كتاب الرقاق، وقد زعم بعض الناس أنه لا مدخل لهذا الحديث في هذه الترجمة (يعني: باب التواضع)، وغفل عما وقع في بعض طرقه عند النسائي بلفظ (حق على الله أن لا يرفع شيء نفسه في الدنيا إلا وضعه)، فإن فيه إشارة إلى الحث على عدم الترفع، والحث على التواضع، والإعلام بأن أمور الدنيا ناقصة غير كاملة، قلت: وحتى لو لم يرد لفظ النسائي فما المانع أن يتعظ الإنسان عندما يعلم أن كل أمور الدنيا إلى زوال، وليعلم المتعجلون في الحكم على البخاري قدر هذا الإمام الذي احتارت العقول في فهم تراجمه إلى الآن، وننصح بمراجعة الكتب التي عُنيت بشرح تراجم أبوابه كالمتواري لابن المنير السكندري، وغيره مما ذكرنا في مجلتنا هذه بعددها السالف. (مستفاد من الفتح (٣٤١/١١)).

ثانيًا: درجة الحديث:

طالما خرَّجه البخاري في أصل الكتاب فقد حكم عليه بالصحة.

ثالثًا: رجال الإسناد:

١- مالك بن إسماعيل: هو أبو غسان النهدي الكوفي الحافظ، روى عنه البخاري، حجة عابد قانت لله. (الكاشف للذهبي (٢٣٣/٢)، ط١/دار القبلة).

٢- زهير: هو ابن معاوية بن حديج أبو خيثمة الجعفي الكوفي، نزيل الجزيرة، ثقة ثبت. (التقريب (٢١٨/١)، ط١/دار الرشيد).

٣- حميد: هو حميد الطويل، بصري تابعي ثقة، وهو خال حماد بن سلمة سمع من أنس أربعة وعشرين حديثًا (معرفة الثقات للعجلي (٣٢٥/١)، ط١/الدار).

٤- أنس: هو أنس بن مالك الصحابي،روى عن عدة من الصحابة، وروى عنه خلقٌ، جاوز المائة (الكاشف ٢٥٦/١).

فائدتان: قلت:

١- قول البخاري: (طوَّله موسى عن حماد عن ثابت

عن أنس): أي: روى هذا الحديث مطولاً بهذا الإسناد وكلمة مطولا معناها: بدرجة أطول كأن يكون مقترنا بذكر كلام طويل مرتبط بالحديث كقصة أم نحو ذلك.

٢- قول الحافظ تعليقًا على قول البخاري السالف: ولم تقع هذه الرواية إلا في رواية المستملي، قلت: المستملي هذا هو الإمام أبو إسحاق المستملي أحد رواة الصحيح عن الفربري عن البخاري، والفربري هو أشهر من روى عن البخاري، وأشهر تلامذة الفربري غير المستملي: ابن حمويه، والكشمهني (الذي من أشهر تلامذته: أم الكرام كريمة)، وابن السكن، وابن شبويه، وأبو زيد المروزي، وابن مكي الجرجاني. وللمستملي وابن حمويه تلميذ مشهور هو أبو ذر الهروي، وقد ذكرت هذه الأسماء حتى لا يستغربها القارئ عندما يقرأ في كتب شروح الصحيح.

رابعًا: شرح عبارات الحديث:

١- قوله باب فضل التواضع: أي: هذا باب في بيان فضل التواضع، وهو إظهار التنزل عن مرتبته. وقيل: هو تعظيم من فوقه من أرباب الفضائل. (عمدة القاري للعيني(٢٣/٨٨)).

٢- قوله: "كان للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة تسمى العضباء": والعضباء بفتح المهملة (العين) وسكون المعجمة (الضاد) بعدها موحدة (الباء) ومد هي: المقطوعة الأذن أو المشقوقة. وقال ابن فارس: كان ذلك لقبًا لها لقوله: (تُسمى العضباء) و(يقال لها العضباء)، ولو كانت تلك صفتها لم يحتج لذلك. واختُلف هل العضباء هي القصواء أو غيرها (قولان)؟ فقال بعضهم: تسمى العضباء والقصواء (مقطوعة الأذن)، والجدعاء (مقطوعة الأذن أو الأنف أو الشفة). ((فتح الباري (٦/٧٤)).

٣- قوله: لا تُسبَق أو لا تكاد تُسبق: شك من حميد، وفي بقية الروايات بغير شك. ((فتح الباري (٦/٧٤)).

٤- قوله فجاء أعرابي على قعود له: وقوله فجاء أعرابي: (فسبقها) أو(فسابقها فسبقها) أو(سابق رسول الله صلى الله عليه وسلم).. (روايات مختلفة): قلت: والحاصل أنه سبقها. ((فتح الباري (٦/٧٤)).

٥- قوله (على قعود له) بفتح القاف وضم العين، والقعود من الإبل ما أمكن أن يُرْكَب، وأدناه أن يكون له سنتان، ثم هو قعود إلى السنة السادسة، ثم بعد ذلك هو جمل.

٦- (فسبقها الأعرابي) أي: غلب في السبق، ففيه خاصة المغالبة.(عون المعبود (١٣/١١٠)).

٧- قوله: (فشق ذلك على المسلمين) أي: فحزن الصحابة لذلك؛ لغَيْرَتِهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٨- قوله: (حتى عرفه) أي: عرف رسول الله أثر المشقة في عين الصحابة. ((الفتح (٦/٧٤)).

٩- قوله: فقال صلى الله عليه وسلم: حق على الله: أي جرت سنته بهذا. (عون المعبود ١٣/١١٠).

١٠- قوله: (ألا يرفع شيئًا من الدنيا إلا وضعه): (لا يرتفع شيء من الدنيا)، (لا يرفع شيئًا) روايتان للبخاري. وللنسائي (لا يرفع شيء نفسه في الدنيا) ((فتح الباري (٦/٧٤))، و(أن لا يرفع) رواية بصيغة المجهول (عون المعبود (١٣/١١٠).

والحاصل من كل الروايات أن أي ارتفاع في أي أمر من أمور الدنيا تكون نهايته الانخفاض، وذلك يدعو العاقل للزهد والتواضع.

فوائد:

١- الحض على التواضع، والإعلام بأن أمور الدنيا ناقصة غير كاملة. (عمدة القاري ج ٢٣ ص ٨٨).

٢- في الحديث حثّ على ترك المباهاة والفخر بمتاع الدنيا، وأن ما كان عند الله في منزلة الضعة، فحق على كل ذي عقل الزهد فيه، وقلة المنافسة في طلبه، وترك الترفع والغبطة بنَيْله؛ لأن المتاع به قليل والحساب عليه طويل. ((شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/٢١٣)).

٣- وفيه التزهيد في الدنيا، وأن كل شيء منها لا يرتفع إلا اتضع. (عون المعبود (١٣/١١٠).

٤- جواز المسابقة بالخيل والإبل. (عون المعبود (١٣/١١٠).

٥- وفيه حُسن خُلق النبي صلى الله عليه وسلم، وتواضعه وعظمته في صدور أصحابه. ((فتح الباري (٦/٧٤)).

تنبيه:

قلت: ترجم أبو داود لهذا الحديث بقوله: [باب في كراهية الرفعة في الأمور]، وهو يعني بذلك: في الأمور الدنيوية، وأما الأمور الأخروية فالرفعة فيها مطلوبة، والمنافسة فيها مندوبة قال تعالى: (وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) [المطففين: ٢٦].

في رياض الحديث

إن في هذا الحديث إيماءةً نبويّة مباركة، تبيّن أن الدنيا لا تدوم على حال، وأنها لا تبقى لأحد، وأن

أحوالها في تقلّب دائم.
هذا وإن حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - سُطّرت بمداد من العمل والصبر والجهاد والتضحية، على نحو لم يترك للراحة واللهو موطناً، ومع هذا فإنسانيةً نبيّنا - صلى الله عليه وسلم - كانت حاضرةً في تعامله مع الناس حوله، على نحو يُتوّج سيرته العطرة.

وفي هذا السياق تروي لنا الأخبار من شأن النبي - صلى الله عليه وسلم - مع ناقته حينما قدم أعرابي من البادية، وسار بجانب النبي صلى الله عليه وسلم، وسواء كان يقصد مسابقة ناقة النبي صلى الله عليه وسلم - كما في بعض الروايات - أو لا يقصد - أيًا ما كان - فقد سبقت ناقتُه ناقةَ النبي صلى الله عليه وسلم..

فسبحان الله سُبقت ناقةُ نبينا عليه الصلاة والسلام وكانت لا تُسبَق، فعظُم الأمر على الصحابة؛ كيف لأعرابي تسبق ناقته ناقة النبي عليه الصلاة والسلام؟! وذلك غَيْرةً منهم على صدارة النبي صلى الله عليه وسلم أن تُمَسّ، واستبدّت بهم مشاعر الإحباط، وبلغ منهم الحزن كلّ مبلغ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم كان إنسانًا بكل ما تحمل الكلمة من معان - فهو الذي علّم البشرية بدينه كيف يكون الإنسان إنسانًا - وبعدما رأى ملامح الوجوه من حوله شعر بما في نفوس الصحابة من حزن وما في قلوبهم من أسى، وأراد استثمار الموقف -فلا يجوز له تأخير البيان عن وقت الحاجة- ليقرّر سنّة إلهيّة لا تتغيّر ولا تتبدّل، فقال عليه الصلاة والسلام بيانه: (إن حقًا على الله أن لا يرفع شيئًا من الدنيا إلا وضعه).. قالها ليسمعها المؤمنون فيفرحوا ويطمئنوا، وليسمعها أهل الغرور والإفساد فيحذروا ويقلعوا قبل فوات الأوان -ولات حين مندم- فلتستبشر أمة الإسلام وليستبشر أهل الإيمان.. فبقاء الظالمين على حالهم لا يستقيم مع سنة الله في خلقه.

ولا شك أن من يدرك هذه الحقيقة التي قررها النبي صلى الله عليه وسلم، ومن يخالط هذا الحديث قلبه ليدرك أهمية هذه العبادة التي من الله بها علينا، وبها بوَّب الإمام البخاري بابه (فضل التواضع)، ثم انظر إلى ما سطره ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري (٢١٣/١٠) يقول: "وقالت عائشة: إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة: التواضع. قال الطبري: والتواضع من المحن التي امتحن الله بها عباده المؤمنين، لينظر كيف طاعتهم إياه فيها، ولما علم تعالى من مصلحة خلقه في ذلك في عاجل دنياهم وآجل أخراهم، فمصلحة الدنيا به لو استعمله الناس لارتفع - والله أعلم - الشحناء بينهم والعداوة، واستراحوا من تعب المباهاة والمفاخرة والتذوا بما قسم لهم، وكان لهم فيه صلاح ذات البين وارتفاع الحسد والشح" ا.هـ.

كلام للسلف في التواضع:

يقول ابن القيم رحمه الله (في مدارج السالكين (٢٣٩/٢)، ت: شيخنا حامد الفقي رحمه الله):
التواضع أن لا ترى لنفسك قيمة، فمن رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب.
وقال الجنيد بن محمد: هو خفض الجناح ولين الجانب.
وقال ابن عطاء: هو قبول الحق ممن كان.
وقال إبراهيم بن شيبان: الشرف في التواضع، والعز في التقوى، والحرية في القناعة.
وقال عروة بن الزبير رضي الله عنهما: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على عاتقه قربة ماء فقلت: يا أمير المؤمنين لا ينبغي لك هذا! فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين دخلت نفسي نخوة فأردت أن أكسرها!!
وركب زيد بن ثابت مرة فدنا ابن عباس ليأخذ بركابه فقال: مه يا ابن عم رسول الله! فقال ابن عباس: هكذا أُمرنا أن نفعل بكبرائنا.
ويذكر أن أبا ذر رضي الله عنه عيَّر بلالاً رضي الله عنه بسواده، ثم ندم فألقى بنفسه فحلف: لا رفعت رأسي حتى يطأ بلال خدي بقدمه، فلم يرفع رأسه حتى فعل بلال!!
وقال رجاء بن حيوة: قوّمت ثياب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو يخطب باثني عشر درهما، وكانت قباء وعمامة وقميصًا وسراويل ورداء وخفين وقلنسوة!!
ورأى محمد بن واسع ابنًا له يمشي مشية منكرة، فقال: تدري بكم شريت أمك! بثلاثمائة درهم، وأبوك لا كثّر الله في المسلمين مثله، (يضع من شأن نفسه ليضع من شأن ابنه) وأنت تمشي هذه المشية؟!!
وقال حمدون القصار: التواضع أن لا ترى لأحد إلى نفسك حاجة لا في الدين ولا في الدنيا" ا.هـ بتصرف.
ويقول ابن عبد ربه (في العقد الفريد (١١٧/٢) ط٣/ دار إحياء التراث العربي):

"قال عبد الملك بن مروان: أفضلُ الرجل مَن تواضع عن رفعة، وزَهِد عن قدرة، وأنصف عن قوَّة، خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويده على المُعَلَّى بن الجارود العبدي، فلقيته امرأةٌ من قريش فقالت له يا عمر، فوقف لها، فقالت: كنا نعرفك مدَّةً عُمَيْراً، ثم صرت من بعد عُمَيْر عُمَرَ، ثم صرتَ من بعد عمر أميرَ المؤمنين، فاتق الله يا ابن الخطاب وانظرْ في أمور الناس، فإنه من خاف الوعيدَ قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خَشيَ الفوْت.

فقال المعلي: إيهاً يا أمة الله، لقد أبكيت أمير المؤمنين! فقال له عمر: اسكت أتدري من هذه ويحك! هذه خَوْلة بنت حكيم التي سمع الله قولها من سمائه، فعُمَر أحْرَى أن يسمع قولها ويقتديَ به.

وسئل الحسن عن التواضع؟ فقال: هو أن تخرج من بيتك فلا تلْقَى أحداً إلا رأيت له الفضل عليك.

وقال رجل لبكر بن عبد الله: علمني التواضع؟ فقال: إذا رأيت من هو أكبرُ منك، فقل سبقني إلى الإسلام والعمل الصالح، فهو خير مني، وإن رأيت أصغر منك فقل سبقته إلى الذنوب والعمل السيئ، فأنا شرٌّ منه.

وقال أبو العتاهية:

يا مَنْ تَشَرَّفُ بالدُّنيا وزينَتِها
ليس التَّشَرُّفُ رفْعَ الطِّين بالطِّين
إذا أرَدْتَ شريفِ النَّاس كُلِّهِم
فانظرْ إلى مَلِكٍ في زيِّ مِسكين
ذاك الذي عُظمت في الناس همته
وذاك يصلح للدنيا وللدين "ا.هـ

وروى ابن عبد البر (في جامع بيان العلم وفضله(١٠٣/١)) بسنده إلى إبراهيم بن الأشعث قال: سألت فضيل بن عياض عن التواضع؟ فقال: أن تخضع للحق وتنقاد له ممن سمعته، ولو كان أجهل الناس! لزمك أن تقبله منه.

قال: وكان يقال: علّم علمك مَن يجهل، وتعلّم ممن يعلم؛ فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت "ا.هـ

تطبيقات عملية

هذا وننصح أنفسنا وإخواننا بما يلي:

١- أن يتواضع العبد إذا رُزق بنعمة، ومن ذلك تواضعه عندما يرتفع بمنصب أو جاه بين الناس؛ لأن النفس في هذه الحالة تريد أن تشمخ وتخلع جلباب العبودية، وتلبس لباس التيه والفخر، وبالمبالغة في التواضع تعود إلى أصلها. (وانظر: الشكر لابن أبي الدنيا ص ٧٢).

٢- ليس التواضع أن يتخشع العبد أمام الآخرين، بل تواضعه الحقيقي يبدأ من قلبه، ثم ينطلي على جوارحه، فتصبح وقد تزينت بشرع ربها، وإن من أهم ما يعينه على هذا هو كثرة سجوده لربه ودعائه والتذلل له، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء" (صحيح الجامع ح ١١٧٥).

٣- ومن صور تواضع المرء عند نفسه: عدم تقدمه على غيره من إخوانه إلا إذا رأى مصلحة شرعية في هذا كأن يكون تخلفه عن هذا العمل فيه إضرار بمصلحة المسلمين -والله أعلم بالسرائر- فلا يخدعن المرء نفسه، وأسوتنا في هذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما قال في أول خطبة له بعد توليه الخلافة: (وُلِّيت عليكم ولست بخيركم). مع أنه خير الناس جميعًا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه التواضع منه، ومع هذا فقد قبل الخلافة للمصلحة الشرعية.

٤- هذا ومما ينبغي أن ننبّه عليه هو التفريق بين الضعة والتواضع، وننقل فيها كلام ابن القيم رحمة الله (في كتابه الروح ص٢٣٤) يقول: (التواضع هو انكسار القلب لله، وخفض جناح الذل والرحمة بعباده، فلا يرى له على أحد فضلاً، ولا يرى له عند أحد حقًا، بل يرى الفضل للناس عليه والحقوق لهم قبله، وهذا خلق إنما يعطيه الله عز وجل من يحبه. وأما الضعة: فهي الدناءة والخسة وبذل النفس وابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها كتواضع السفل في نيل شهواتهم وتواضع طالب كل حظ لمن يرجو نيل حظه منه؛ فهذا كله ضعة لا تواضع، والله سبحانه يحب التواضع ويبغض الضعة والمهانة " ا.هـ بتصرف.

وختامًا:

لا تضح أيها الحبيب بهذه العبادة، وقد قال الله تعالى: «تِلْكَ الدار الآخِرة نَجْعَلُهَا للَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأرض وَلاَ فَسَاداً والعَاقبة لِلْمُتَّقِينَ» [القصص: ٨٣].

وفي (الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب (٩٠/٢)) يقول:

تواضع تكن كالبدر تبصر وجهه
على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه
إلى صفحات الجو وهو وضيع

وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وآله وصحبه وسلم.

درر البحار من ضعيف الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

١٨٢- رُوِيَ عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» قال: "عَن نور عظيم يَخِرُّون له سُجَّدًا".

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الطبري في «تفسيره» (١٢/٢١٩) ح(٣٤٦٨٨)، وعلته: روح بن جناح؛ قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١/٢٩٦): «روح بن جناح روى عنه الوليد بن مسلم، منكر الحديث جدًا، يروي عن الثقات ما إذا سمعها الإنسان الذي ليس بالمتبحر في صناعة الحديث شهد له بالوضع». اهـ.

وعلة أخرى: الوليد بن مسلم، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢/٣٣٦): «كثير التدليس والتسوية». اهـ. وعنعن في ثلاثة مواضع من بعد شيخه روح بن جناح، وعلته مولى عمر بن عبد العزيز لم يُسَمّ فهو مبهم، فالحديث باطل بهذه العلة المركبة.

١٨٣- رُوِيَ عن رَوْح بن جُنَاح، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ.

الحديث لا يصح: أخرجه الترمذي في «السنن» (ح٢٦٨١) وقال: «وهذا حديث غريب، ولا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الوليد بن مسلم، والذي يدلس أقبح أنواع التدليس وهو تدليس التسوية، وقد بيّنا حال روح بن جناح، فالحديث موضوع أخرجه أيضًا ابن حبان في «المجروحين» (١/٢٩٦) لبيان وضعه.

١٨٤- رُوِيَ عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " نَحْنُ سَادَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، نَحْنُ بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَا وَعَلِيٌّ وَحَمْزَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْمَهْدِيُّ".

الحديث لا يصح، أخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح٤٠٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣/٢١١)، واللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» (ح٢٧٤١)، وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم، فرده الذهبي بقوله: قلت: ذا موضوع». وآفته علي بن زياد اليمامي، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢/٣٧): «علي بن زياد اليمامي صوابه: أبو العلاء عن زياد، واسمه عبد الله، ثم قال في «التهذيب» (٧/٢٨٣): «ذكره البخاري فقال: منكر الحديث ليس بشيء». اهـ.

قلت: وما نقله الحافظ ابن حجر عن البخاري هو ثابت عنه في «التاريخ الكبير» (٣/١/٩٥)، وهذا المصطلح عند البخاري له معناه، بيّنه الإمام السيوطي في «التدريب» (١/٣٤٩) قال: «البخاري يطلق: فيه نظر، وسكتوا عنه فيمن تركوا حديثه، ويطلق (منكر الحديث) على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

١٨٥- رُوِيَ عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من تمنى الغلاء على أمتي ليلة أحبط الله عمله أربعين سنة ".

الحديث لا يصح، أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/٦٠) وقال: «لا أعلم راوٍ غير سليمان بن عيسى السجزي وكان كذابًا يضع الحديث». اهـ. وقال الذهبي في «الميزان» (٢/٢١٨/٣٤٩٦): «هالك» وقال الجوزجاني: كذاب، وقال أبو حاتم: كذاب.

وقال ابن عدي يضع الحديث وله كتاب «تفضيل العقل جزءان، ثم ذكر له هذا الحديث وقال من بلاياه». اهـ.

١٨٦- رُوِيَ عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من بركة المرأة تبكيرها بالأنثى، أما سمعت الله تعالى يقول: «يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور» فبدأ بالإناث قبل الذكور.

الحديث لا يصح، أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ح٦٠٨)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/٢٧٦)، وآفته العلاء بن كثير، قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢/١٨١، ١٨٢): العلاء بن كثير مولى بني أمية من أهل الشام يروي عن مكحول، وكان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات لا يحل الاحتجاج بما روى وإن وافق فيها الثقات.

١٨٧- رُوِيَ عن عائشة سمعت رسول الله يقول: من بركة المرأة على زوجها تيسير مهرها، وأن تبكّر بالبنات.

الحديث لا يصح، قال السيوطي في «اللآلئ» (٢/١٧٦): أخرجه ابن مردويه في «التفسير»، وقال الشيخ: حدثنا محمد بن الحسن حدثنا عبد الوهاب حدثنا سليمان بن سلمة حدثنا يوسف بن عطية حدثنا أبو معمر عباد بن عبد الصمد سمعت عائشة.. الحديث.

قال المعلمي اليماني في «تحقيق الفوائد المجموعة للشوكاني» (ص١٣٣): «رجال سنده كلهم ساقطون وآخرهم عباد بن عبد الصمد هالك ولم يدرك عائشة». اهـ. وذكره الذهبي في «الميزان» (٢/٣٦٩/٤١٢٨): قال عباد بن عبد الصمد أبو معمر بصري واهٍ، قال البخاري: منكر الحديث، وأقره الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٣/٢٩٢، ٥٥/٤٤٠٦)، وزاد عليه ببحث دقيق فيه فوائد، وبين ابن حبان في «المجروحين» (٢/١٧٠) أنه منكر الحديث جدًا.

١٨٨- "إن الله لا يَقبل دُعَاءً مَلْحُونًا".

الحديث لا أصل له، أورده القاري في «المصنوع» (ح٤٧) وقال: «لا يُعرف له أصل».

١٨٩- "لِلْبَيْتِ رَبٌّ يَحْمِيهِ".

الحديث لا أصل له، أورده السخاوي في «المقاصد» (ح٨٧١)، وقال: «هو من كلام عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم لأبرهة صاحب الفيل لما سأله أن يرد عليه ماله، وقال له: سألتني مالك ولم تسألني الرجوع عن قصد البيت أنه شرفكم، فقال: إنَّ... وذكره». اهـ.

١٩٠- رُوِيَ عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي: "أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي".

الحديث لا يصح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/١٢٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ورده الإمام الذهبي في «التلخيص» بقوله: «قلت بل هو فيما اعتقده من وضع ضرار، قال ابن معين: كذاب». وأخرجه ابن حبان في «المجروحين» (١/٣٧٦)، وجعله من أباطيل ضرار بن صُرد، قال: «يروي المقلوبات عن الثقات حتى إذا سمعها من كان داخلاً في العلم شهد عليه بالجرح والوهن، كان يحيى بن معين يكذبه». اهـ.

قلت: بالتطبيق نجد أن ضرار يروي المقلوبات عن الثقات في هذا الخبر فقد رواه عن معتمر بن سليمان بن طرخان الثقة كذا في «التقريب» (٢/٢٦٣) عن أبيه الثقة كذا في «التقريب» (١/٣٢٦)، عن الحسن الثقة كذا في «التقريب» (١/١٦٥) عن الصحابي أنس بن مالك، فالحديث موضوع: وهو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

حق الجار في الإسلام

إعداد/ الشيخ مصطفى العدوي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد فقد حثنا الله سبحانه على كل ما فيه خيرنا وصلاح أمرنا في ديننا ودنيانا وآخرتنا، ومما وصانا الله به: أن نحسن إلى الجيران سواء أكانوا من الأقارب، أو من عامة المسلمين، أو من غير المسلمين، وقد استمرت الوصية بالجار من جبريل عليه السلام لنبي الله صلوات الله وسلامه عليه حتى ظن أنه سيورثه، وما ذاك إلا لعظم حق الجار في الإسلام.

تعظيم الشرع لحق الجار

إن من الحقوق التي ضُيعت حق الجار، فحق الجار قد ضاع عند كثير من الناس؛ بل عند كثير ممن يرتدون ثياب الصلاح، ضاعت عندهم حقوق الجار، ولا يخفى على هؤلاء أن رب العزة أوصى بالجار، وأوصى جبريل بالجار، وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجار، قال الله سبحانه: «وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ» [النساء:٣٦] أي: الجار القريب، «وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ» [النساء:٣٦] أي: الجار الذي لا تربطك به قرابة، أي: أحسنوا -يا عباد الله- إلى الجار ذي القربى، وإلى الجار الجنب الذي ليس بقريب، أحسنوا إليهما معاً، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام مبيناً وصية جبريل بالجار: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) (صحيح البخاري ٦٠١٥). أي: سيكتب له نصيباً من الميراث كنصيب الأم، أو نصيب الأخ، أو نصيب الأخت، أو غير ذلك.

وقال عليه الصلاة والسلام حاثاً للأمة على ذلك: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره) (صحيح مسلم ٤٧)، وفي رواية: (فليكرم جاره)، وقال عليه الصلاة والسلام: (لا يمنعنَّ جار جاره أن يغرز خشبة في جداره) (صحيح البخاري ٢٤٦٣) هكذا علمنا رسول الله.

وحذر النبي أشد التحذير من خيانة الجار، وعدم الإحسان إليه، قال عليه الصلاة والسلام: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن) يقسم النبي ثلاثة أيمان بالله أنه لا يؤمن، (قيل: من يا رسول الله؟)، من هو هذا الذي أقسمت ثلاثة أيمان أنه لا يؤمن؟ قال: (من لا يأمن جاره بوائقه) (صحيح مسلم ٤٦).

وعدَّ النبي عليه الصلاة والسلام خيانة الجار في أهله من أكبر الذنب، ومن أعظم الذنب، سئل النبي عليه الصلاة والسلام: (أي الذنب أعظم يا رسول الله؟! قال: الإشراك بالله، قيل: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، قيل: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك) (صحيح البخاري ٤٤٧٧)، فخيانتك للجار في أهله من أعظم الذنب، وترصدك وتجسسك على جارك من أكبر الحرمات.

الجار القريب أعظم حقاً من البعيد

يا عبد الله! اتق الله في جارك، خاصة إذا كان جاراً تربطك به قرابة، شخص يسكن في بيت فيه أمه وأبوه، يدخل البيت إلى أولاده ومعه الفاكهة، معه العنب، معه اللحم، معه أنواع الفاكهة، ولا يجعل عند نفسه بعض الدم، ولا جزءاً من الحياء، فيمر بأمه ولا يعطيها شيئاً من الطعام، ولا شيئاً من الشراب، أي جفاء أشد من هذا الجفاء؟! وأي غلظة أشد من تلك الغلظة؟! قطيعة للوالدين، وعدم إحسان للوالدين، وعدم إحسان للجيران.

أمك وأبوك اللذان أفنيا عمرهما لراحتك، وسهرا على مرضك وعلى بكائك، وكانت أمك تمسح الأوساخ عنك، وحينما تشب وتكبر وتتزوج تؤثر زوجتك عليها! تأتي بالطعام لزوجتك وتخفيه عن أمك! ولا تستحي من الله! تخفيه تحت الثوب! وتسرع في الصعود إلى زوجتك! وأمك العجوز الكبيرة محرومة ليس لها بعد الله إلا أنت، وتفعل معها هكذا! أنى يبارك لمثلك إذا كنت على هذه الحال من الدناءة والطمع والجشع والأنانية! ماذا ستستفيد إذا أكلت عنقودين من العنب؟! كل واحداً وأعط أمك واحداً، قد يمرضك هذا الثاني إذا أدخلته بطنك، قد يسبب لك المغص والتلوي، فتصدق عن نفسك بجزء لوالديك، أو لوالدك أو لوالدتك، فلا تكن جلفاً جافياً غليظاً يا عبد الله! فإذا كان الجار من ذوي القربى؛ فحقه من أعظم الحقوق، لاسيما إذا كان الجار والداً أو والدة، وكيف تطيب لك نفس أن تجلس أنت وزوجتك تضحكون وأنتم تأكلون، وأمك المسكينة وأبوك -الذي هو على حافة القبر وعلى شفير الموت- يجلس حزيناً لرؤيته أنك صعدت إلى أولادك وتركته، ويجلس حزيناً عندما يراك تتخفى وتستتر وتطلع مسرعاً على السلم حتى لا يراك؟! يا عبد الله! اتق الله في نفسك، راقب الله، فالرب قادر على أن يقنع أبويك، وقادر على سحب النعمة منك، وإبدالها عذاباً عليك، فاتق الله في جيرانك، ولا تؤذ جيرانك، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (يا نساء المسلمات! لا تحقرن جارة لجارتها، ولو فرسن شاة) (صحيح البخاري ٢٥٦٦) أي: ولو حافر شاة وهو ما بين ركبة الشاة إلى الحافة، وهو من البقر بمنزلة الكوارع، فلا تحقرن جارة جارتها ولو أن تهدي لها مثل هذه الهدية الحقيرة.

الحذر من الزوجة إذا صدت زوجها عن الإحسان إلى الأقارب والجيران

لا تغلبنك زوجتك إذاً -أيها العبد- وتحثك على العقوق، ولا تعلمنك الزوجة البخل على الوالدين، وعلى الجيران، وعلى الأرحام، فأنت القوّام على البيت، والمرأة ناقصة عقل ودين، فلا تكن تلك ناقصة العقل والدين تغلبنك على الخير، وتصدنك عن الخير، ولا يهمها منك إلا بطنها وفرجها، هذه المرأة التي على هذه الشاكلة من الطمع والجشع والأنانية لا ينبغي أن تغلب رجلاً حليماً على جيرانه وعلى بنيه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر: إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك. (صحيح مسلم ٢٦٢٥).

وماذا يمنعك أن تأتي يوماً باثنين كيلو فاكهة، وتمر على بيت الجيران، أو على شقة الجيران، وتقول: خذ يا ولد يا محمد! أو يا ولد يا إبراهيم! أو يا بنت يا فلانة من الأطفال، خذي هذا، تضحك وتقسم عليها أن تأخذه، ماذا يضرك؟ هذا في الدنيا سيدفع عنك شروراً، وعلى الأقل شرور الجار الذي يتربص بك، فإذا وجد منك الجار هذا الكرم، فماذا عساه أن يفعل معك؟ هل تظن أن جارك سيجدك كريماً ويؤذيك؟! لا أظن ذلك في الغالب إلا من غلب عليه الشقاء والعياذ بالله، فالشأن أن الإحسان يجازى بالإحسان.

حرمة إيذاء الجار

ولا ينبغي لك في البيت أن تؤذي الجار فتأتي بمذياع أو مسجل يبث الفسق والدعارة؛ فتؤذي به الجار ليلاً ونهاراً، وأنت الآخر- يا من عانيت من جارك - لا يليق بك أن تشكو جارك إلى الشرطة الذين لا يرقبون فيه إلاً ولا ذمة، وتنتهز أي خطأ، وتشكوه إلى الشرطة. والجيرة لا تقتصر على البيوت، بل في المسجد، فلا ينبغي لك أن تؤذي جارك ولو برفع صوتك بالقرآن، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (كلكم مناج ربه، فلا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة) (مسند أحمد ٤٩٢٨ وصححه الأرناءوط)، وهذا في المسجد الذي هو بيت الله، والعبادة التي تتقرب بها إلى الله لا ينبغي أن تؤذي بها الجار في المسجد، إذا جلست في المسجد وأخوك يقرأ القرآن، فاخفض صوتك وليخفض صوته؛ حتى لا

تشوش عليه، ولا تأت إلى المسجد وأنت آكل للثوم أو البصل فتؤذي جيرانك، ولا تأت إلى الجار في السيارة وتدخن السيجارة فتؤذيه، فأنت إذا آذيته تأثم، فلا تشرب السيجارة؛ فتضر نفسك وتضر جليسك الذي بجوارك.

ولا تؤذ مؤمناً في العمل، ففي الأعمال أحقاد بين أهل الوظائف مع أنهم جيران، فالعامل الموظف معك في الوظيفة جار لك، فكونك تذهب إلى رئيسك في العمل، فتشي به وتكيد له؛ حتى تترقى وتأخذ درجة أعلى ما هذه الدرجة؟ ماذا عساك أن تفعل إذا غمست في دركات النار؟ ماذا عساها أن تفعل لك الدرجة الثالثة أو الدرجة الرابعة أو الخامسة وأنت داخل القبر؟ لن تنفعك الإدارة، ولن تنفعك الدرجات، ولن ينفعك الرياء داخل القبر، ولن ينفعك فيه منصبك ولا جاهك.

فاتق الله في جارك في الوظيفة، وفي جارك في السفر، وفي جارك في البيت، وفي جارك في العمل، فتلك وصية نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام، بل تلك وصية الله لنا في آية الوصايا العشر: «وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» [النساء:٣٦]، إلى قوله «وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ» [النساء:٣٦].

حق الجار الكافر

والجار وإن كان كافراً فله حق، قال القرطبي وغيره من أهل العلم رحمهم الله: أطلقت الآيات وأطلقت الأحاديث الجار ولم تقيده، قال تعالى: «وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ» [النساء:٣٦] ولم يُذكر الجار المسلم فقط، فعمت الآية ولم تخص، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: (ما زال جبريل يوصيني بالجار) متفق عليه، فعمّ ولم يخص، لم يخص جاراً مسلماً من جار كافر، فللجار حق فأده إليه، سلم عليه، عده إذا مرض، اسأل عنه إذا غاب، هكذا كان رسولنا عليه الصلاة والسلام يفعل.

الضرائر جارات

والجيرة أيضاً تنسحب على الضرائر من الأزواج، فهن جارات، قال عمر لـ حفصة: ولا يغرنك إن كانت جارتك -يريد عائشة - هي أضوأ منك وأحبُّ إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام منك. (صحيح البخاري ٢٤٦٨).

فالجيرة عامة، وليست بخاصة، فراقب الله فيها، فتلك أصول من أصول ديننا، تلك مراتب من الإيمان عالية، تلك منازل من أعمال البر راقية، فاحرص عليها يا عبد الله! لا تهتم فقط بسنن هي أدنى من هذه السنن، بل احرص على العمل بجميع السنن، احرص على العمل بكبير السنن وصغير السنن، وبكل الوارد عن رسول الله عليه الصلاة والسلام.

سلوا ربكم أن يهديكم لأحسن الأخلاق؛ فلا يهدي لأحسنها إلا هو، وسلوه سبحانه أن يصرف عنكم سيئها؛ فلا يصرف عنا جميعاً سيئ الأخلاق إلا هو سبحانه وتعالى.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق؛ لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها؛ لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

اللهم اجعلنا من الكاظمين الغيظ، العافين عن الناس، أهل البر والإحسان، يا رب العالمين! واختم لنا بخير، واجعلنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

اللهم اجعلنا من الذي جاءوا بالصدق وصدقوا به، واجعلنا من المتقين.

وصل اللهم وَسَلِّمْ وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إشهار

تم بحمد لله تعالى إشهار جمعية أنصار السنة المحمدية، فرع البطاخ، مركز المراغة، محافظة سوهاج، طبقًا لأحكام القانون ٨٤ لعام ٢٠٠٢م، ولائحته التنفيذية تحت رقم (١٣١٥) بتاريخ ٢٠١٣/١٠/٨م.

منبر الحرمين

الفرق بين النصيحة والتعيير

الشيخ الدكتور
صالح بن عبد الله بن حميد
إمام المسجد الحرام بمكة المكرمة

الحمد لله المتوحد في الجلال بكمال الجمال تعظيمًا وتكبيرًا، المتفرد بتصريف الأحوال على التفصيل والإجمال تقديرًا وتدبيرًا، المتعالي بعظمته ومجده الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُ الله ورسوله أرسله الله إلى الثقلين الإنس والجن بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فصلواتُ الله وسلامُه عليه، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فإن الوصيةَ المبذولةَ لي ولكم -عباد الله- هي تقوى الله -سبحانه-، تقوى الله في الغيب والشهادة، والغضب والرضا، والمنشط والمكرَه، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

صفاء السر والعلانية خصلة تعيي الكثيرين:

عباد الله: صفاءُ السر والعلانية خصلةٌ يُعيي الكثيرين طلابُها، وهكذا هي الأشياءُ النفيسة يعزّ وجودُها، ويرتفعُ ثمنُها، ومن أراد أن يُفتش عن مثلِ هذا المعدنِ النفيسِ في زمنٍ كثُرت فيه الأثَرة، وأُحضرَت الأنفس الشحَّ؛ فإنه سيفتحُ عينَه حين يفتحُها على كثير، ولكن لا يرى أحدًا إلا من رحِم الله، وقليلٌ ما هم.

إن صور المظهَر ينبغي أن تكون ترجمةً صادقةً لحقيقة المخبَر؛ لأن الظاهر لا قيمةَ لها إذا كانت ستارًا لبواطنَ معيبة، فإنَ الماءَ قد يكدُرُ طعمُه وإن كان لونُه أبيضَ صافيًا.

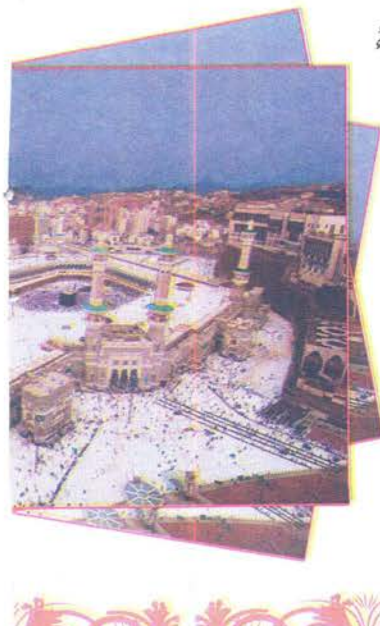
قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صُورِكم، ولكن ينظُر إلى قلوبكم وأعمالكم». رواه مسلم.

إن أمّتنَا أحوجُ ما تكون في أزمنة الشح وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه إلى الأُلفة، واعتذارِ بعضِهم لبعض، وغض الطرف عما يمكنُ غضُ الطرف عنه، مما سببُه الاجتهاد المقبولُ شرعًا، إذا كانَ مرجوحًا، أو الخطأ إن كان مبنيًا على اجتهادٍ سائغ حسبَ الاستطاعة.

فينبَغي ألا يغيبَ عنَا كرمُ جلال الله -جل وعلا-، حينَما يمنَحُ المجتهدَ المخطِئ أجرَ الاجتهاد، ويغفر له خطأه.

إنِ الحقَ أبلَج، مهما أُسدلَت دونَه ستُورِ الباطل، وقُلبَت لأجله الأمور، وإنَ الباطِلَ لجلْج، مهما زُوقت له الألفاظ، ورُقشت له الحُجَج: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٤٨].

إن الحقَ الذي من ظنَ أن بملكه أن يستُرَه، فإنه كمن يستر ضوءَ الشمس بغربال، إذا عُلم ذلكم -عباد الله- فإن على كل مسلم أن يُحسن القصدَ تُجاه ربه ثم تُجاه الناس، وأن يجعلَ لإحسانِ الظن بالآخرين من السَعَة والانشراح ما لا يجعلُه لسُوءِ الظنِ بهم؛ فإنه إن أخطأ في حُسن ظنِه لم يكُن عليه من الإثم ما يكونُ في خطئه بسُوء ظنه.



ومن هنَا يستطيع المرءُ الصادقُ أن يزنَ نفسَه بميزان الشرع في تعامُله مع أخطاء الآخرين؛ بحيثُ يُلجِمُ نفسَه إلجامًا عنَ أن تقعَ في أتُون تصيُد الأخطاء، وتتبُع العورات، يقودُه في ذلك: العلمُ والعدل.

الحاجة إلى الألفة واعتذار بعضنا لبعض:

بَيْدَ أن هناك فرقًا بين

تصيُّد الأخطاء وبين تصحيحها؛ فالأولُ إنما هو من باب التعيير والتشهير والتشفي، والثاني من باب بيان النصح بالحق والدعوة إليه، فالبَوْنُ شاسعٌ بين التعيير والنصح، كما هو شاسعٌ أيضًا بين ما كان لحظ النفس وما كان لله، ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦].

ثم إن من المُجرَّب المُشاهَد: أن المُعيرين الذين يُشهرون غيرَهم بالأخطاء تدورُ عليهم الدوائر، فيقَعُون في الحُفَر التي حفَرُوها للمُعيَّرين؛ لأن التعيير داءٌ مُنصِفٌ يفعلُ بالمُعير فعلَه بالمُعيَّر، والجزاءُ من جنسِ العمل.

وقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي: «من عيَّر أخاه بذنبٍ لم يمُت حتى يعملَه».

ولأن في التعيير شماتةً ظاهرةً تَحيدُ بالمرء عن معالي الأمور إلى مُنادَمَة سفسافها؛ في الحديث الذي حسَّنه بعضُ أهل العلم: «لا تُظهر الشماتةَ بأخيك، فيرحمُه الله ويَبتَليك». رواه الترمذي.

إنه ليُدرِكُ كلُّ ذي لُبٍّ وبصيرةٍ أن ما يسمعه ويراه عبرَ الرائي أو الأثير أو مواقع التواصُل، ليُدرك بوضوح عظَم الحاجة إلى أدب الحديث والمُحاوَرَة، وحفظَ الحقوق والحرُمات، والنَّأي بالنفس عن تتبُّع العورات والشماتة وبذاءَة اللسان.

فكما أن في تلك المواقع فوائد عُظمَى لنشر الخير، والدعوة إلى الحق على بصيرة، وأن الكلمة الطيبة التي تسمعها ألفُ أذن، وتقرؤها ألفُ عين، أعظمُ أجرًا مما يسمعه أقلُّ من ذلك، فكذلك الكلمة الخبيثة تكونُ أعظمَ إثمًا، وأثقلَ وزرًا إذا كثُر مُستمعُوها وقارئُوها؛ فإن اللسانَ بريدُ القلب، والقلمَ بريدُ اللسان.



ولقد صدقَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- حينَ قال: «وهل يكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم -أو على مناخِرهم- إلا حصائدُ ألسِنَتهم». رواه الترمذي.

الفرق بين تصيد الأخطاء وتصحيحها:

إن العقلَ الناضجَ لا ينتابُه شكٌّ البَتّة في أن لسانَ المرء وقلمَه هما شعارُ حقيقته ومخبَره، فكما أن في البشر لسانَ صدقٍ وعفةٍ وأناةٍ، فإن فيهم لسانَ كذبٍ وتطفُّلٍ وطيشٍ.

فلأجل ذلكم قال النبيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «تُصبحُ الأعضاءُ تُكفرُ اللسان، تقول: اتَّق اللهَ فينا، فإن استقمتَ استقمنا، وإن اعوجَجتَ اعوجَجنا». رواه أبو يعلى بسند حسن.

المعير تدور عليه الدوائر:

عباد الله: لقد عُلِم بدليل الواقع أن تتبُّع المرء زلات الآخرين إنما يصدُرُ منه بسوء علم أو بسوء قصد؛ فالأول فسادٌ في الفهم، والثاني فسادٌ في القلب، وهو الأخطرُ والأعظمُ إثمًا وخطيئةً، فإن النيَّةَ إذا فسَدَت لم يُصلحْها اللسان، لكنَّ صلاحَ النيَّة والقصد يجبُرَان زلَّةَ اللسان.

فكم من عائبٍ قولاً صحيحًا
وآفتُه من الفهم السقيم

الحاجة إلى أدب الحديث والحوار:

أيها الناس: إن العُمرَ أقصرُ مما يُؤمِّله الواحدُ منا، وإن من ظلم المرء نفسه أن يستقطع جُزءًا كبيرًا من وقته في تعقُّب الآخرين بما قد يضرُّ ولا ينفع، ويفقَأُ العينَ ولا يقتُل الصيدَ، وبما يزيدُ إثمَه ويقلُّ أجرُه، فيكثُرُ بذلك الالتفاتُ أثناءَ المسير، ومن كثُر التفاتُه تأخَّر وصولُه، ومن تتبَّع الصيدَ غفَل، ومن أحدقَ بعينيه في عيوب غيره عميَ عن عيوب نفسه، فجمع على نفسه خطيئَتَين.

ثم إن الناسَ بشرٌ ليسوا معصُومين ولا ملائكة، وإنما هم يأكُلون الطعامَ ويمشُون في الأسواق، يُخطئون ويُصيبُون، وغالبًا ما يكونُ صوابُهم أكثرَ من خطئِهم. فلماذا يُصرُّ أقوامٌ على أن يكونوا كالذُّباب لا يقعُ إلا على الجروح، أو كالبَعوضة لا يُرويها إلا الدماءُ؟! ولربما أدمَت مُقلةَ الأسد.

لماذا لا يأنسُ أقوامٌ إلا بالغيبة والنَّميمة، والوشاية، والهَمز واللمز، واتهام النوايا والشق عن القلوب؟!

لماذا يُفضِّلُ أقوامٌ أن يعيشُوا مُفلسين بألسنتهم وأفئدتهم، لا أن يعيشُوا أغنياءَ بها، وقد وصَفهم لسانُ القائل:

ولو أن واشٍ باليمامة داره
وداري بأعلى حضرموت اهتدى لي

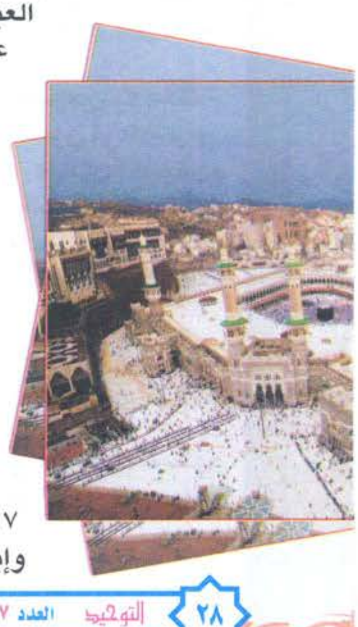
قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «أتدرُون من المُفلس؟!». قالوا: المُفلسُ فينا من لا درهَمَ له ولا متاع. فقال: «إن المُفلسَ من أمَتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتَمَ هذا، وقذَفَ هذا، وأكل مال هذا، وسفك دمَ هذا، وضربَ هذا. فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنيَت حسناتُه قبل أن يُقضى ما عليه أُخذَ من خطاياهم فطُرِحَت عليه، ثم طُرِح في النار». رواه مسلم.

فيا لله! ما أكثر المُفلسين. ويا لله! ما أشقاهم في الدنيا، وما أعظم حسابهم في الأخرى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٩٩، ٢٠٠].

فاتقوا الله -عباد الله- واعلموا أن الأمر بحفظ اللسان، وستر عورات الناس، وعدم تتبُّع زلّاتهم لا يعني -بداهةً- عدمَ النُّصح لهم، إذا ظهر منهم الخطأ بأوجُه النُّصح المعروفة، الخارجة عن معنى التعيير والتشهير.

لا خير فيمن لا ينصح ولا فيمن لا يقبل النصح:

فلا خيرَ فيمن لا ينصَح، ولا خيرَ فيمن لا يقبَلُ النُّصح، فكلُّ ابن آدم خطّاءٌ، وخيرُ الخطّائين التوابُون، وليس عيبًا أن تُخطئ؛ فالخطأُ من طبيعة البشر؛ إذ الكمالُ لله، والعصمةُ لرسُله، ولكنَ العيبَ كل العيب ألا تقبَلَ النُّصحَ على الخطأ.



كما أن خطأَ بشر ما ليس مُبررًا في أن تجلبَ عليه بخيلك ورَجِلك، وتسُنَّ له سيُوفَ النُّصح كأنك في نزال مع العدو؛ فإن الرِّفقَ ما كان في شيء إلا زانَه، وما نُزِع من شيء إلا شانَه، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

وإياكَ وإياكَ والانتصارَ للنفس وإن كنتَ مُحقًّا؛ فإنه يمحَقُ النيةَ الصادقة ويأكلُها كما تأكلُ النارُ الحطبَ. وحَذارِ أن تكرَه النُّصحَ والناصِح؛ فإنه سبيلُ أعداء الرُّسُل.

ولقد أحسنَ الإمام أبو عبد الله بن بطّة؛ حيث قال: «اغتمامُك بصواب غيرك غشٌ فيك، وسُوءُ نيّة في المسلمين. فاعلَم أن من كرِهَ الصوابَ من غيره، ونصرَ الخطأَ من نفسه، لم يُؤمَن عليه أن يسلُبَه الله ما علمَه، ويُنسيَه ما ذكرَه، فمن سمع الحقَ فأنكرَه بعد علمه له فهو من المُتكبرين على الله».

وقال ابن القيم: «ذمّ الله تعالى من يرُدُّ الحقَ إذا جاء به من يُبغضُه، ويقبَلُه إذا جاء به من يُحبُّه، فهذا خُلُقُ الأمة الغضَبيَّة».

ويزيدُ الأمرُ تأكيدًا -عباد الله- على كل من له سهمٌ في العلم والدعوة، ومنابر الإعلام المرئيَّة والمقروءَة والمَسموعَة أن يتّقُوا اللهَ فيما يأتُون ويذَرُون، وأن يتّقُوا الزلّات الفادحَة، وألا يتتبَعوا الزلّات المعفو عنها؛ فإن ذلكم هو الوسطُ الذي خصّ به أمّتنا من بين سائر الأمم.

ألا أيها العُقلاء احذرُوا
لئلا يزِلّ بنا عالمُ
فإن بزلّته عثرةً
يزِلّ على إثرها عالَمُ

هذا؛ وصلُّوا -رحمكم الله- على خير البرية، وأزكى البشرية: محمد بن عبد الله، صاحب الحوض والشفاعة؛ فقد أمركم الله بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنّى بملائكته المُسبحة بقُدسه، وأيَّه بكم -أيها المؤمنون-، فقال -جل وعلا-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، واخذُل الشركَ والمشركين، اللهم انصُر دينَك وكتابَك وسُنّةَ نبيك وعبادَك المؤمنين.

اللهم فرّج همَّ المهمومين من المُسلمين، ونفّس كربَ المكرُوبين، واقضِ الدَّيْنَ عن المدينين، واشفِ مرضانا ومرضى المُسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان، اللهم انصُرهم في سوريا، وفي بُورما، وفي سائر بلاد المسلمين يا رب العالمين.



الحلقة التاسعة

مثال الذي يعمل خيرًا ثم يحبطه

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعدُ:

ففي هذا المقال نتحدث عن مثل آخر من أمثال القرآن، وهو من سورة البقرة؛ الآية السادسة والستون بعد المائتين، وهي قوله تعالى: « أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ » [البقرة: ٢٦٦].

المعنى الإجمالي:

هذا المثل: «أيود أحدكم..» والمثلان السابقان(سبق ذكرهما في حلقتين خلتا)، ثلاثة أمثال ضربها الله سبحانه وتعالى متتالية، في كل واحد منها عبرٌ وعظات لا يستغني عنها كل مؤمن يحبُّ أن يكون حصاد زرعه في الآخرة مثمرًا رضا الله وجنته.

فالمثل الأول: ضربه الله محذِّرًا من إحباط أجر الصدقات، وضياع ثواب الإنفاق بالمن والأذى، فالذي يفعل ذلك فعمله كعمل الذي ينفق ماله رياءً، ليقال عنه: كريم أو محسن!.. فالمنّ والأذى يُبطل الثواب، والرياء يمنع سبب الثواب.

فالمنفق رئاء الناس لا يؤمن بالله، ولا يبتغي الأجر ليوم القيامة فيكون عمله خالصًا للدنيا، «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ» [البقرة: ٢٦٤]، أي: فعل ذلك المرائي بإنفاقه كمثل الحجر الأملس الذي عليه شيء من التراب يظنه من يراه أرضًا طيبة منبتة.

«فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا» [البقرة: ٢٦٤] أي: فإذا أصابه مطر شديد ذهب عنه ذلك التراب، فيبقى الحجر صلدًا أملس، لا يستقر عليه ماءُ، ولا يُنبتُ نباتًا ينتفع به الناس أو الحيوان، كذلك هذا المنفق يظنُ أن أعماله صالحة، فإذا كان يوم القيامة لم يجد أجرًا لعمله ينجيه من العذاب، ولهذا قال الله تعالى: «لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا» [البقرة: ٢٦٤] أي: لا يجدون ثوابًا في الآخرة، فلا ينتفع بشيء منها أصلاً.

«وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» [البقرة: ٢٦٤] أي: لا يهديهم إلى طريق الخير والرشاد.

وأما المثل الثاني: فيخص الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتًا من أنفسهم واثقين مما يفعلون، فهؤلاء مثلهم «كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ» [البقرة: ٢٦٥] أي: مثلهم كالبستان في أرض مرتفعة، كثيرة الشجر، وخصت بالربوة لحسن شجرها وثمرها «أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ» [البقرة: ٢٦٥] أي: أصابها مطر غزير، تأخذ منه ما يكفي، وتطرح الباقي، ولا يؤذيها.

«فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ» [البقرة: ٢٦٥]، وإن لم يصبها مطر غزير أصابها الطل، وهو المطر الخفيف، أو ما يتكاثف ليلاً على الأشجار فترتوي منه، وهي لطيب أرضها وكرمها تؤتي أكلها ضعفين بالوابل والطل.

«وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» [البقرة: ٢٣٤] أي: لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد.

فالمثل الأول: هو القلب الصلد، والمثل الثاني: هو القلب العامر بالإيمان. [تفسير آيات الأمثال للجميلي ص١٨، ١٩].

أما المثل الثالث: فمثل للعبد إذا عمل بطاعة الله ثم أتبعها بما يبطلها ويفسدها من معاصي الله، كانت كالإعصار ذي النار المحرق للجنة التي غرسها بطاعته وعمله الصالح.

فلو تصور العامل بمعصية الله بعد طاعته هذا المعنى حق تصوره وتأمله كما

ينبغي لما سوّلت له نفسه- والله- إحراق أعماله الصالحة وإضاعتها، ولكن لا بد أن يغيب عنه علمه بذلك عند المعصية، ولهذا استحق اسم الجهل؛ فكل من عصى الله فهو جاهل. [الجامع لأمثال القرآن لابن القيم ص٨٢].

وقال ابن القيم في «طريق الهجرتين» (٨٠٦/٢) و«إعلام الموقعين» (٣١٦/٢): «ضرب سبحانه وتعالى المثل لمن عمل بطاعة الله مخلصًا نيته لله، ثم عرض له ما أبطل ثوابه، بالجنة التي هي من أحسن الجنات وأطيبها وأزهاها، ثم سلط عليها الإعصار الناري فأحرقها، فإن هذا نبت له شيء وأثمر له عمله ثم احترق، والأول لم يحصل له شيء يدركه الحريق.

فتبارك من جعل كلامه حياة للقلوب وشفاءً للصدور وهدى ورحمة. اهـ. بتصرف.

قال ابن عباس: هذا مَثَل من أُعطي الدنيا والقوة والشباب فلم يعمل حتى انزوت عنه.

ونقل ابن قتيبة رحمه الله في «تأويل مشكل القرآن» ص٣٢٤ عن الكلبي والقتيبي أن المراد بالمثال في هذه الآية هو الكافر والمنافق.

قال ابن عباس : هذا مثل ضربه الله للكافر، كرجل غرس بستانًا وأكثر فيه من الثمر، وكانت معيشته ومعيشة عياله من ذلك البستان فأصابه الكبر، وله ذرية ضعفاء، أي عجزة عن الحيلة، «فأصابها» يعني الجنة، «إعصار فيه نار» فاحترقت الجنة، فلم تكن عنده قوةٌ فيغرس مثل بستانه، ولم يقدم خيرًا فيعود عليه كما لم يجد هذا الكبير عند ولده خيرًا، فيعود على أبيهم، فكذلك الكافر إذا رُدَّ إلى الله تعالى يوم القيامة لا كرَّة له فيستعتب، كما أنه ليس عند هذا الكبير قوة غرس بستانه، فحرم أجره أفقر ما كان إليه، كما حُرِمَ هذا نفع بستانه أحوج ما كان إليه حين كِبر سنه (تفسير القرطبي ٣٢٠/٣).

وقال القتيبي: هذا مثل ضربه الله للمنافقين والمرائين بأعمالهم، يقول: يردون يوم القيامة على أعمال قد محقها الله وأبطلها، ووكلهم في ثوابها إلى من عملوا أحوج ما كانوا إلى أعمالهم، وقد ضرب لهم مثلاً في هذا المعنى بعينه، فقال: «كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ» [البقرة: ٢٦٤]، «فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ» [البقرة: ٢٦٤]، ثم ضرب مثلاً للمخلصين: «ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ» [البقرة: ٢٦١].

وقال مقاتل: كما أن الشيخ لم تكن له قوة من كبره أن يدفع عن جنته، ولم تستطع ذريته الصغار ذلك، ولم تكن للشيخ قوة أن يغرس مثل جنته ولا لذريته أن يعودوا على أبيهم، كذلك الكافر إذا لقي ربه غدًا لا يجد خيرًا، ولا يدفع عن نفسه عذاب الله. [تفسير مقاتل ٢٢١/١].

قال الحسن: هذا مثل قل والله من يعقله من الناس، شيخ حين كبر سنه وضعف جسمه، وكثر عياله، أفقر ما كان إلى جنته، وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت الدنيا عنه ومضت حال بالها (البحر المحيط ٢٣٧/٢).

قال ابن جريج: هذا مثل ضرب للعمل، أن الإنسان يعمل عملاً صالحًا فيكون مثلاً للجنة، ثم يُسيء في آخر عمره، ويتمادى في الإساءة حتى يكون على ذلك، فيكون الإعصار الذي فيه النار المحرقة مثلاً لإساءته التي مات عليها.

وقال الزجاج: هذا مثل ضربه الله لهم في الآخرة، وأعلمهم أن حاجتهم إلى الأعمال الصالحة كحاجة هذا الكبير الذي له ذرية ضعفاء فاحترقت جنته فانقطع، فكذلك من لم يكن له في الآخرة عمل صالح يدخله الجنة فحسرته في الآخرة كحسرة الكبير المنقطع به في الدنيا. [معاني القرآن للزجاج ٣٤٨/١].

المعنى المفصل:

قوله تعالى: «أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ» [البقرة: ٢٦٦] أخرجه مخرج الاستفهام الإنكاري، وهو أبلغ من النفي والنهي، وألطف موقعًا، كما ترى غيرك يفعل فعلاً قبيحًا فتقول: أيفعل هذا عاقل؟ أيفعل هذا من يخاف الله والدار الآخرة؟ (الجامع لأمثال القرآن لابن القيم ص ٨٠).

و«يود» أي يحب، و«الود» خالص المحبة.

فقوله: «أيود أحدكم» بلفظ الواحد لتضمنه معنى الإنكار العام، كما تقول: أيفعل هذا أحد فيه خير؟ وهو أبلغ في الإنكار من أن يقال: أيودون.

وقوله: «أن تكون له جنة من نخيل وأعناب» خصّ هذين النوعين من الثمار بالذكر؛ لأنهما أشرف أنواع الثمار وأكثرها نفعًا، فإن منهما القوت والغذاء والدواء والشراب والفاكهة والحلو والحامض، ويؤكلان رطبًا ويابسًا ومنافعهما كثيرة جدًا، وقد اختلف في الأنفع والأفضل منهما فرجحت طائفة النخيل،

ورجحت طائفة العنب، وذكرت كل طائفة حجًا لقولها. [مفتاح دار السعادة ٢/١١٧].

وقوله تعالى: «تجري من تحتها الأنهار» جمع الأنهار باعتبار تفرقها في الجنة وانتشارها في نواصيها، إذن يعتبر هذا البستان كاملاً من كل النواحي: نخيل وأعناب، ومياه، وثمرات، وهو أيضًا جنة كثيرة الأشجار والأغصان والزروع وغير ذلك.

قوله تعالى: «وأصابه الكبر» أي أصاب صاحب الجنة الكبر، فعجز عن تصريفها والقيام عليها، «وله ذرية ضعفاء» يعني صغارًا، أو عاجزين، فالأب كبير، والذرية ضعفاء- إما لصغرهم، أو عجزهم.

قوله تعالى: «فأصابها» أي: أصاب هذه الجنة «إعصار» أي ريح شديدة، «فيه نار» أي: حرارة شديدة، مر الإعصار على هذه الجنة «فاحترقت» حتى تساقطت أوراقها وثمراتها، وييبست أغصانها وعروقها، فماذا يكون حال هذا الرجل؟ يكون في غاية ما يكون من البؤس؛ لأنه فقد هذه الجنة في حال الكبر، والذرية الضعفاء، فهو في نفسه لا يكتسب وذريته لا يكتسبون له ولا لأنفسهم، فتكون عليه الدنيا أضيق ما يكون من التحسر.

«كذلك» أي: كما بين ما ذكر من أمر النفقة المقبولة وغيرها.

«يبين الله لكم الآيات» قال ابن عباس: يعني في زوال الدنيا وإقبال الآخرة.

«لعلكم تتفكرون» أي: تعتبرون.

فوائد الآية:

(مستفادة من شرح ابن عثيمين للآية ٣/٣٣٢- ٣٣٣) :

١ - من فوائد الآية: بيان تثبيت المعاني المعقولة بالأمور المحسوسة؛ لأنه أقرب إلى الفهم؛ وجه ذلك أن الله سبحانه وتعالى ضرب مثلاً للمانّ بالصدقة بصاحب هذه الجنة؛ ووجه الشبه سبقت الإشارة إليه.

٢ - ومنها: جواز ضرب المثل بالقول؛ فهل يجوز ضرب المثل بالفعل - وهو ما يسمى بالتمثيل؟

الجواب: نعم، يجوز لكن بشرط ألا يشتمل على شيء محرم؛ ولنضرب لذلك أمثلة للأشياء المحرمة في التمثيل:

أولاً: أن يكون فيه قيام رجل بدور امرأة، أو قيام امرأة بدور رجل؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لعن المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال. (البخاري ٥٨٨٦).

ثانياً: أن يتضمن ازدراء ذوي الفضل من الصحابة، وأئمة المسلمين؛ لأن ازدراءهم واحتقارهم محرم؛ والقيام بتمثيلهم يحط من قدرهم - لا سيما إذا عُلم من حال الممثل أنه فاسق؛ لأن الغالب إذا كان فاسقاً وقد تقمص شخصية هذا الرجل التَّقي الذي له قدره، وفضله في الأمة، فإن هذا قد يحط من قدره بهذا الذي قام بدور في التمثيلية.

ثالثا: أن يكون فيه تقليد لأصوات الحيوانات: مثل أن يقوم بدور تمثيل الكلب، أو الحمار؛ لأن الله لم يذكر التشبيه بالحيوانات إلا في مقام الذم، كقوله تعالى: «مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ» [الجمعة: ٥]، وقوله: «وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث» [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦] الآيتين؛ وكذلك السنة لم تأت بالتشبيه بالحيوان إلا في مقام الذم، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الذي يتكلم والإمام يخطب يوم الجمعة كمثل الحمار يحمل أسفاراً» (أخرجه أحمد في المسند ٢٠٣٣ وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده حسن)، وقوله: «العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه»(صحيح البخاري ٢٥٨٩).

رابعاً: أن يتضمن تمثيل دَور الكافر، أو الفاسق؛ بمعنى أن يكون أحد القائمين بأدوار هذه التمثيلية يمثل دَور الكافر، أو دَور الفاسق؛ لأنه يخشى أن يؤثر ذلك على قلبه: أن يتذكر يوماً من الدهر أنه قام بدور الكافر، فيؤثر على قلبه، ويدخل عليه الشيطان من هذه الناحية؛ لكن لو فعل هل يكون كافراً؟

الجواب: لا يكون كافراً؛ لأن هذا الرجل لا ينسب الكفر إلى نفسه؛ بل صور نفسه صورة من ينسبه إلى نفسه، كمن قام بتمثيل رجل طلق زوجته؛ فإن زوجة الممثل لا تطلق؛ لأنه لم ينسب الطلاق إلى نفسه؛ بل إلى غيره.

وقد ظن بعض الناس أنه إذا قام بدور الكافر فإنه يكفر، ويخرج من الإسلام، ويجب

عليه أن يجدد إسلامه، واستدل بالقرآن، وكلام أهل العلم؛ أما القرآن فاستدل بقوله تعالى: « وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ » [التوبة: ٦٥، ٦٦]: وهؤلاء القوم يدّعون أنهم يخوضون، ويلعبون؛ يعني: على سبيل التسلية ليقطعوا بها عناء الطريق؛ ويقول أهل العلم: إن من أتى بكلمة الكفر - ولو مازحاً - فإنه يكفر؛ قالوا: وهذا الرجل مازح ليس جاداً؟

فالجواب أن نقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث جدّهن جدّ وهزلهن جد: النكاح، والطلاق، والرجعة»(سنن أبي داود ١٣٨٤ وصححه الألباني): فلو قال الرجل لزوجته: أنت طالق يمزح عليها فإنها تطلق؛ فهل تقولون: إذا قام الممثل بدور رجل طلق امرأته فإنها تطلق امرأته؟ سيقولون: لا؛ وكلنا يقول: لا؛ والفرق ظاهر؛ لأن المازح يضيف الفعل إلى نفسه، والممثل يضيفه إلى غيره؛ ولهذا لا تطلق زوجته لو قام بدور تمثيل المطلق؛ ولا يكفر لو قام بدوره تمثيل الكافر؛ لكن أرى أنه لا يجوز من ناحية أخرى؛ وهي أنه لعله يتأثر قلبه في المستقبل، حيث يتذكر أنه كان يوماً من الدهر يمثل دور الكافر؛ ثم إنه ربما يعَيَّر به فيقال مثلاً: أين أبو جهل؟! إذا قام بدوره.

ويمكن أن نأتي بدليل على جواز التمثيل؛ وذلك في قصة الثلاثة من بني إسرائيل: الأقرع، والأعمى، والأبرص؛ فالملك أتى الأبرص، والأقرع، والأعمى، وسألهم ماذا يريدون؛ كل ذكر أمنيته؛ فأعطاه الله سبحانه وتعالى أمنيته؛ ثم عاد إليهم الملَك مرة أخرى؛ عاد إلى الأبرص بصورته، وهيئته - يعني أبرص فقيراً - وقال له: «إني رجل فقير، وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري؛ فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك»(صحيح مسلم ٢٩٦٤)؛ فالملك يمثل دور رجل فقير - وهو ليس بفقير - وأبرص - وليس بأبرص - وكذلك بالنسبة للأقرع، والأعمى؛ فبعض العلماء استدل بهذا الحديث على جواز التمثيل.

فعليه نقول إذا كان التمثيل لا يشتمل على شيء محرم من الأمثلة التي ذكرناها، أو غيرها، فإنه لا بأس به، وليس من الكذب في شيء؛ لأن الكذب يضيف الإنسان الأمر إلى نفسه، فيأتي إليك يقرع الباب؛ تقول: مَن؟ يقول: أنا زيد - وليس هو بزيد؛ فهذا كاذب؛ لكن يأتي إنسان يقول: أنا أمثل دور فلان، ويعرف الناس أنه ليس فلاناً؛ فليس بكذب؛ لكنه إذا نسب القول إلى شخص معيَّن فهذا يحتاج إلى ثبوت هذا القول عن هذا الشخص المعين؛ أما إذا حكى قصة رجل بوصفه - لا بعينه - فليس بكذب. وهذا رأي شيخنا العلامة ابن عثيمين رحمه الله. (تفسير القرآن لابن عثيمين ٣/٣٣٢).

٣ - ومن فوائد الآية: أن الله سبحانه وتعالى يبين لعباده الآيات الشرعية، والكونية؛ كلها مبينة في كتابه سبحانه وتعالى أتم بيان.

٤ - ومنها: الحث على التفكر، وأنه غاية مقصودة؛ لقوله تعالى: «لعلكم تتفكرون»؛ فالإنسان مأمور بالتفكر في الآيات الكونية، والشرعية؛ لأن التفكر يؤدي إلى نتائج طيبة؛ لكن هذا فيما يمكن الوصول إليه بالتفكر فيه؛ أما ما لا يمكن الوصول إليه بالتفكر فيه فإن التفكر فيه ضياع وقت، وربما يوصل إلى محظور، مثل التفكر في كيفية صفات الله عز وجل: هذا لا يجوز؛ لأنك لن تصل إلى نتيجة؛ ولهذا جاء في الأثر: «تفكروا في آيات الله ولا تفكروا في ذات الله»(أخرجه الطبراني في الأوسط ٦٣١٩ وفي سنده ضعف)؛ لأن هذا أمر لا يمكن الوصول إليه؛ وغاية لا تمكن الإحاطة بها، كما قال تعالى: « لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ » [الأنعام: ١٠٣]؛ فلا يجوز لأحد أن يتفكر في كيفية استواء الله عز وجل على العرش؛ بل يجب الكف عنه؛ لأنه سيؤدي إلى نتيجة سيئة؛ إما إلى التكييف، أو التمثيل، أو التعطيل - ولا بد؛ وأما التفكر في معاني أسماء الله فمطلوب؛ لأن المعنى كما قال الإمام مالك - رحمه الله - لما سئل: « الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ » [طه: ٥]: كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

والفوائد السابقة مستفادة من كلام الشيخ ابن عثيمين في تفسير الآية (تفسير القرآن لابن عثيمين ٣/٣٣٢).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى

من أنواع التربية المطلوبة

التربية على الآداب النبوية والسنن المصطفوية

الحلقة الثانية

إعداد/ د. أحمد فريد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن مما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم الذي يهدف إلى إقامة المجتمع المسلم، وإعادة الخلافة على منهاج النبوة: "الآداب النبوية والسنن المصطفوية"، وهذه الآداب كثيرة، منها ما ذكرناه في العدد الماضي، ونكمل بعض هذه الآداب، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

٧- آداب اللسان:

قال تعالى: «مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» [ق: ١٨].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت". [البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧، ٤٨)].

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب". [البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨)].

قال النووي: "في الحديث حث على حفظ اللسان، فينبغي لمن أراد أن ينطق أن يتدبر ما يقول قبل أن ينطق، فإن ظهرت فيه مصلحة تكلم، وإلا أمسك". [شرح النووي على صحيح مسلم (١١٧/١٨)].

وعن الحسن البصري قال: "كانوا يقولون: إن لسان المؤمن من وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه، وإن لسان المنافق أمام قلبه، فإذا هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبر بقلبه".

وآفات اللسان كثيرة خطيرة، منها الكلام فيما لا يعني، وفضول الكلام، والغيبة والنميمة، وكلام ذي الوجهين، والمدح، والقذف، وشهادة الزور، والكذب، والقول على الله بغير علم، وإن من أهون آفات اللسان خطراً الكلام فيما لا يعني، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" [رواه أحمد (١٧٣٩) والترمذي (٢٣١٧، ٢٣١٨) وصححه الألباني في "مشكاة المصابيح" (٤٨٣٩)].

وقال سهل بن عبدالله: "من تكلم فيما لا يعنيه حُرِمَ الصدق".

وقال الحسن: "من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه. فكيف بالغيبة والنميمة وقول الزور وغير ذلك؟! نسأل الله السلامة والعافية".

٨- آداب الخلطة:

من أضر الأشياء على قلوب المؤمنين: مخالطة أهل المعاصي والشهوات؛ فإنها توجب تشتت القلب وهمّه وغمّه وضعفه، وهل كان أضرّ على عم النبي صلى الله عليه وسلم أبى طالب عند وفاته من قرناء السوء؟! لم يزالوا به حتى حالوا بينه وبين كلمة لو قالها لأوجبت له السعادة الأبدية.

والضابط النافع في أمر المخالطة أن يخالط الناس في الطاعات، وأن يخالفهم في المعاصي وفضول المباحات. وإن دعت الحاجة إلى المخالطة في فضول المباحات، فليستعن بالله عز وجل ويؤثر فيهم من الخير ما أمكنه، فإن أعجزته المقادير عن ذلك فَلْيَسُلَّ قلبه من بينهم كَسَلِّ الشعرة من العجين، وليكن فيهم حاضراً غائباً قريباً بعيداً، نائماً يقظان، ينظر إليهم ولا يبصر، يسمع كلامهم ولا يعيه؛ لأنه قد أخذ قلبه من أصعب هذا وأشقه على النفوس ! وإنه ليسير على من يسره عليه. وكل مخالطة ومحبة وخلة في غير طاعة الله عز وجل ومحبته تنقلب يوم القيامة إلى عداوة ومشاقة، قال تعالى: «ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ» [الزخرف: ٦٧]

وقال إبراهيم الخليل لقومه: «وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ» [العنكبوت: ٢٥]

٩- آداب الذكر:

قال تعالى: «ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا

﴿بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال تبارك وتعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر كمثل الحي والميت" [صحيح البخاري ٦٤٠٧].

فمن آداب الذكر: الإخلاص، وحضور القلب، وتواطؤ القلب واللسان عليه، والإكثار منه؛ لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

ومن ذلك: نظافة الثوب والبدن، والطهارة، والتطيب، واستقبال القبلة.

ومن ذلك: التأدب مع الله عز وجل، واستحضار عظمته.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

قال شيخ الإسلام: "لما ذكر الله، ذكر الخوف؛ لأن الخوف مطلوب عند الذكر". [باختصار من "الآداب النبوية التربوية" لصالح بن علي أبو عراد (ص: ٣٧) ط. مكتبة أبها].

ومن ذلك: "قطع الذكر لرد السلام، وتشميت العاطس، وعند سماع المؤذن".

ومن ذلك: استعمال أصابع اليد في عد الذكر؛ لأن الصحابة كانوا يسبحون بأصابعهم.

ومن آداب الذكر: اتخاذ القدوة الصالحة المؤمنة الذاكرة لله سبحانه وتعالى قال عز من قائل: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨]. وهذا أدب تربوي يقتضي اتخاذ القدوة الصالحة الحسنة من الذين يذكرون الله عز وجل، ويعينون على ذكره وما يذكرون المسلم بمولاه.

وقالوا عن أيوب بن تميم السختياني -المحدث المشهور التابعي سيد شباب أهل البصرة-: "إنه كان إذا خرج إلى السوق، ورآه الناس، سبّحوا وحمدوا وذكروا الله؛ لأن رؤيته تذكّر بالله عز وجل".

ليسوا كقوم إذا لاقيتهم عرضا
أهدوك من نورهم ما يُتحف الساري
تروى وتشبع من سيماء طلعتهم
بوصفهم ذكروك الواحد الباري

والجليس السعيد من إذا ذكرت الله أعانك، وإذا نسيت ذكرك، وليس كالمفلس الذي إذا ذكرت الله لم يعنك، وإذا سهوت لم يذكرك. [المصدر السابق (ص: ٣٨)].

١٠- آداب الطعام:

- فمن آداب الطعام والشراب: استحضار نية التقوّي على طاعة الله عز وجل.

- ومن الآداب أن يختار الحلال الطيب من المطاعم والمشارب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

- ومن آداب الطعام غسل اليدين قبله.

- ومن ذلك التسمية في أوله، والأكل باليمين، والأكل مما يليه، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه: "يَا غُلامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ" [رواه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢)].

- ومن ذلك الاجتماع على الطعام لتأليف القلوب، وحصول البركة؛ فقد كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا حضر له الطعام قال: "التمسوا بعض المساكين والفقراء، فلن آكل وحدي".

- ومن ذلك أن يبدأ بذكر الطعام.

- ومن ذلك التواضع في الجلوس؛ لقوله صلى الله عليه وسلم" لا آكل متكئاً". [رواه البخاري (٥٣٩٨)].

- ومنه الأكل بثلاثة أصابع ولعقها بعد الأكل. فعن كعب بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاثة أصابع ويلعق يده قبل أن يمسحها. [رواه مسلم ٢٠٣٢].

- ومن ذلك عدم النفخ في الطعام الحار، وألا يؤكل حتى يبرد، وإذا سقطت منه لقمة أماط عنها الأذى وأكلها، ولا يدعها للشيطان. ف عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة) [صحيح مسلم: ٢٠٣٣].

- ومن ذلك عدم الإكثار من الطعام، قال النبي صلى الله عليه وسلم" الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ" [رواه البخاري (٥٣٩٣)، ومسلم (٢٠٦٠)].

قال بعض السلف: "إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة".

- ومن ذلك عدم ذمّ الطعام أو عيبه. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قال: ما عاب النبي صلى الله

عليه وسلم طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه"[رواه البخاري: (٥٤٠٩)، ومسلم (٢٠٦٤)].
- ومن ذلك حمد الله تعالى بعد الطعام والشراب، لما رواه مسلم عنه صلى الله عليه وسلم"إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها".[رواه مسلم (٢٠٥٥)].
- ومن ذلك أن يدعو لمن أكل عنده بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم أطعمْ من أطعمني واسق من سقاني" [صحيح مسلم ١٢٨/٦].
- وهناك آداب ليس هناك أدلة من الكتاب والسنة بخصوصها، ولكنها توافق روح الشريعة، والعرف العام هو الذي يُعتبر به في مثل هذه المواطن؛ فمن ذلك أن يأكل بلا تكلف، وألا ينظر إلى رفاقه بعين المراقبة؛ فإن ذلك يخجلهم، وألا يفعل ما يستقذره الناس في الغالب: كنفض اليد في الإناء، والأكل والفم مملوء بالطعام، وكذا الكلام وفي فمه طعام، أو مجرد فتح فمه، وغير ذلك من الآداب التي تناسب الذوق السليم.

١١- آداب النوم:

- ومن آداب النوم أن ينام على نية صالحة، كما قال معاذ: "إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي".
- ومن ذلك أن ينام مبكراً؛ حتى يستطيع قيام الليل ويستقبل صلاة الفجر وأذكار الصباح بنشاط، وقد نُهي عن السمر بعد العشاء إلا للعلم النافع، أو تأنيس الرجل زوجته، أو التشاور في مصالح المسلمين، وكان عمر رضي الله عنه يعلو بالدرة من يسمر بعد صلاة العشاء، ويقول: "اسمر أول الليل، ومن آخره".
- ومن ذلك أن يحاسب العبد نفسه قبل النوم على ما قاله وفعله في نهاره؛ فإن وقف على ذنب تاب منه، فينام ويصبح على توبة، قال بعض السلف: "من لم يتب كل صباح ومساء كان من الظالمين"، قال الله عز وجل: «وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» [الحجرات:١١].
- ومن ذلك ألا يبيت إلا ووصيته عند رأسه، إذا كان لديه ما يستحق الوصية، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما حق امرئ مسلم يبيت ليلتين وله ما يوصي فيه، إلا ووصيته مكتوبة عنده". [رواه البخاري (٢٧٢٨)، ومسلم (١٦٢٧)].
- ومن ذلك عدم التكلف في الفراش، أو المبالغة في نعومته؛ فإن ذلك أقرب للتقوى وهدي للصالحين، وأدعى إلى التوفيق لقيام الليل.
- ومن ذلك نفض الفراش قبل النوم للتأكد من خلوه من الهوام والحشرات، ولما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره؛ فإنه لا يدري ما خلفه عليه". [رواه البخاري (٥٦٢٤)، ومسلم (٢٠١٢)].
- ومن ذلك أن ينام العبد على طهارة؛ ففي "صحيح ابن حبان" من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم" من بات طاهراً، بات في شعاره ملك، فلا يستيقظ إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهراً". [صحيح ابن حبان ١٠٥١ وقال الأرناءوط: إسناده حسن]. والشعار: ما يلي البدن من ثياب.
- ومن ذلك أن ينظِّف فمه بالسواك أو الفرشاة والمعجون.
- ومن ذلك أن ينام على شقه الأيمن، ويستقبل بوجهه القبلة، ويضع راحة اليد اليمنى تحت الخد الأيمن. فعَنْ الْبَرَاء بْن عَازِب قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشه نَامَ عَلَى شقه الأَيْمَن ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسي إِلَيْكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَا مِنْكَ إِلا إِلَيْكَ آمَنْتُ بكتَابكَ الَّذي أَنْزَلْتَ وَبنَبيِّكَ الَّذي أَرْسَلْتَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مَنْ قَالَهُنَّ ثُمَّ مَاتَ تَحْتَ لَيْلَته مَاتَ عَلَى الْفطْرَة «اسْتَرْهَبُوهُمْ» منْ الرَّهْبَة مَلَكُوتٌ مُلْكٌ مَثَلُ رَهَبُوتٌ خَيْرٌ منْ رَحَمُوت تَقُولُ تَرْهَبُ خَيْرٌ منْ أَنْ تَرْحَمَ. [صحيح البخاري ٦٣١٥].
- ومن ذلك أن يتلو أذكار النوم الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ التي منها قوله صلى الله عليه وسلم:"باسمك ربى وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين" [رواه أبو داود ٥٠٥٢ وصححه الألباني].
- ومن ذلك ما رواه حذيفة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه قال: "باسمك اللهم أموت وأحيى" [رواه البخاري: (٦٣٢٠، ٧٣٩٣)، ومسلم (٢٧١٤)].
- وكذا يتلو أذكار الاستيقاظ من النوم، كما في حديث البخاري: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استيقظ من نومه قال: "الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور" [رواه البخاري: (٦٣٢٠، ٧٣٩٣)، ومسلم (٢٧١٤)]. وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

من نور كتاب الله

الحياة الحقيقية

في طاعة الله ورسوله

قال تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ [illegible]ونَ » [الأنفال: ٢٤]

من فضائل الصحابة بشهادات آل البيت

عن يونس بن بكير، عن أبي جعفر يعني محمد بن علي بن الحسن قال: من جهل فضل أبي بكر وعمر فقد جهل السنة. [الحجة للأصبهاني ٣/٣٧٤].

واحة التوحيد

من أقوال السلف

عن الأوزاعي قال: إذا بلغك عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حديث، فإياك أن تقول بغيره؛ فإنه كان مُبلِّغا عن الله. [تذكرة الحفاظ ١/١٨٠].

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ». [صحيح مسلم ٢٧٣٩].

موقف العلماء من الاحتفال بليلة المولد

قال العلامة أبو عبد الله محمد الحفار المالكي: "ليلة المولد لم يكن السلف الصالح -وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم- يجتمعون فيها للعبادة، ولا يفعلون فيها زيادة على سائر ليالي السنة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم، لا يُعَظَّمُ إلا بالوجه الذي شرع تعظيمه. [المعيار المعرب ص ٩٩].

حكم ومواعظ

عن ميمون بن مهران قال: ثلاثة تُؤَدَّى إلى البر والفاجر: الأمانة، والعهد، وصلة الرحم. [سير أعلام النبلاء٥/٧٤].

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

الفرق بين المؤمن والفاجر

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن غِرٌّ كريم (أي: الذي لم يجرّب الأمور، حَسَن الظن، سليم الصدر)، والفاجر خِبٌّ لئيم (أي: المخادع المكار الخبيث). [سنن أبي داود ٤٧٩٢ وحسنه الألباني]

من دلائل النبوة

عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة ابن النعمان أنه أُصيبت عينه يوم بدر، فسالت حدقته على وجنته، فارادوا أن يقطعوها فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لا، فدعا به فغمز حدقته براحته (أي: يديه)، فكان لا يدري أيّ عينيه أُصيبت!! (أي: لسلامتها من الأذى) [مسند أبي يعلى ١٥٤٩].

إعداد: علاء خضر

من غريب الحديث

(نفث) ومنه الحديث «إن روح القدس نفث في روعي» يعني جبريل عليه السلام: أي أوحى وألقى من النفث بالفم؛ وهو شبيه بالنفخ، وهو أقل من التفل؛ لأن التفل لا يكون إلا ومعه شيء من الريق، ومنه الحديث «أنه قرأ المعوذتين على نفسه ونفث». [النهاية لابن الأثير ٥/١٩٧].

نوادر ومُلح

وقفت امرأة على قيس بن سعد بن عبادة – رضي الله عنه – فقالت له: أشكو إليك قلة الجرذان بداري – وهي الفئران – فقال: ما أحسن هذه الكناية، املئوا لها بيتها بُرًا ولحمًا وسمنًا.. وبيان ذلك أن الفئران لا يقمن بالموضع الذي ليس فيه طعام. [السيرة الحلبية ١١٦١].

علماء السوء يزينون للحكام أعمالهم

عن محمد بن علي قال: دخل ابن شهاب الزهري على الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي؛ فسأله عن حديث: "إن الله إذا استرعى عبدًا الخلافة كتب له الحسنات، ولم يكتب له السيئات"، فقال له: هذا كذب، ثم تلا قوله: «يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ» إلى قوله: «بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ» فقال الوليد: إن الناس ليغرُّوننا عن ديننا. [فتح الباري ابن حجر ٢/ ١٣٦].

ميزان السلف في الحكم على البدعة

عن أبي حاتم قال: سمعت نعيم بن حماد يقول: من ترك حديثًا معروفًا (أي: صحيحًا) فلم يعمل به، وأراد له علة أن يطرحه، فهو مبتدع. [الفقيه والمتفقه للبغدادي ١/ ٣٨٦].

فضل العلم وواجبنا نحو العلماء

إعداد/ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله رافع أهل العلم درجات، والمفضّل ذوي العلم في الحياة والممات، وأصلي وأسلم على سيد الدعاة وإمام الأنبياء وعلى آله وأصحابه ومن استن بسنته واهتدى بهداه، أما بعدُ:

فالعلم منة يَمُنّ الله به على من شاء من عباده.

قال الله تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام: «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا» [يوسف: ٢٢]، وقال تعالى عن كليمه موسى عليه السلام: «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا» [القصص: ١٤]، وقال تعالى عن داود وسليمان عليهما السلام: «وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ» [النمل: ١٥]، فخصّ العلم بالذكر مع أنه آتاهما مالاً وملكًا، «وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا» [الأنبياء: ٧٩]، وذكر سبحانه أنهما قالا: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ» [المؤمنون: ٢٨]؛ لاعتقادهما أنهما بالعلم فُضّلا على كثير من عباده المؤمنين، وامتن سبحانه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: «وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا» [النساء: ١١٣]، فمن أورثه الله علم الكتاب والسنة فقد اصطفاه، قال صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» رواه البخاري.

إذن فالعلماء وارثو علم الرسالة؛ بهم قام الكتاب وبه قاموا، وهم مثال الاستقامة، بالعلم عاملون، وعلى الحق سائرون، يهدون بالحق وبه يعدلون، مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، بهم يُهتدى ويُقتدى، وعلى خطاهم تعيش الأمم على هدى وبصيرة من أمرها بعيدًا عن البدع والخرافات ودروب الجهل والضلال، استشهد الله بهم دون غيرهم من البشر على أجَلّ مشهود به وأعظمه: «شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ» [آل عمران: ١٨].

وأخبر سبحانه أنهم أهل خشيته: «إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟» [فاطر: ٢٨]، وأمر سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يستشهد بهم على رسالته، «وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ» [الرعد: ٤٣]، واستشهد بهم سبحانه على صحة ما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم: «أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ» [الأنعام: ١١٤]، وجعل سبحانه كتابه آيات بينات في صدورهم، قال تعالى: «وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ» [العنكبوت: ٤٨، ٤٩]، ونفى سبحانه التسوية بين العالمين والجاهلين، فقال تعالى: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» [الزمر: ٩]، وأمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكتفي بشهادة أهل العلم ولا يعبأ بالجاهلين، فقال تعالى: «وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا» [الإسراء: ١٠٦-١٠٨]، وأخبر سبحانه عن رفعة درجات أهل العلم، فقال تعالى: «يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ» [المجادلة: ١١]، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما خصّ اللهُ العلماءَ في شيء من القرآن ما خصَّهم في هذه الآية، فضَّلَ اللهُ الذين آمنوا وأتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم. [الدر المنثور ٨/٨٣].

ودعا الله الناس إلى سؤالهم فيما يجدُّ من مسائل وقضايا، فإجابتهم تزيل الشبهات، قال الله تعالى: «فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» [النحل: ٤٣]، وأخبر سبحانه أنهم المنتفعون بضرب الأمثال، قال الله تعالى: «وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ» [العنكبوت: ٤٣]، لذا كان بعضُ السلف إذا مرَّ بمثلٍ لا يفهمه يبكي ويقول: لست من العالمين.

وأخبر سبحانه أن العلماء سيشهدون للأنبياء على أممهم يوم القيامة، فقال تعالى: «وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» [البقر: ١٤٣]، والخطابُ وإن كان للأمة إلا أنه من العام المخصوص، لأن الجاهل شهادته مردودة، ولذلك قال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: «باب: وكذلك جعلناكم أمة وسطًا، وما أمر النبيُّ صلى الله عليه وسلم بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم، وقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل العلم، فقال صلى الله عليه وسلم: «وإن العالمَ ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضلُ العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثةُ الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر». [متفق عليه].

علامة هلاك الناس:

وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم باغتنام

حياة العلماء، وأخذ العلم عنهم قبل أن يموتوا، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبق عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جُهَّالاً، فَسُئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا». [متفق عليه].

وقد قيل لسعيد بن جبير: ما علامة هلاك الناس؟ قال: إذا هلك علماؤهم.

مصيبة الطعن في العلماء:

ومع هذا الثناء من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على أولي العلم- فإنهم لم يسلموا من أقوام يحطون من أقدارهم ويجترئون على مقامهم وينزعون من مهابتهم، يطعنون في أعمالهم وجهودهم، ويشككون في قدراتهم وكفاءاتهم، ويبلبلون على العامة، يوزعون الاتهامات، ويتبعون المعايب، والأشدُّ من ذلك والأنكى اتهام النيات، والحكم على المقاصد، والتطاول على السرائر التي لا يعلمها إلا الله، ولا شك أن هذا ضرر على الدين، فالطعن في العلماء ليس طعنًا في شخوصهم، إنما طعن في العلم الذين يحملونه، وبالتالي طعن في الإسلام.

فاحذروا- إخواني- كل الحذر من التطاول على علماء الأمة، فالتجريحُ بغير حقٍّ لا يجوز، ورفض الدليل محرمٌ لا يسوغ، والمنهج الحق الأخذ بالدليل مع وافر الحرمة والتقدير لأئمة العلم والدِّين، ومن كانت له نادرة ينبغي أن تدفن في بحر علمه، وتنسى في جانب عظيم فضله، فالعصمة غير مضمونة لأيِّ عالم، ولكن المضمون لهم- إن شاء الله- الأجر على اجتهادهم- أصابوا أو أخطأوا.

قال الحافظ الذهبي رحمه الله: لو أنا كلما أخطأ إمامٌ في اجتهاد في آحاد المسائل خطأ مغفورًا له، قمنا عليه، وبدَّعناه وهجرناه، لما سلم معنا لا ابنُ نصر ولا ابن منده، ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين، ونعوذ بالله من الهوى والفظاظة. اهـ.

احذروا التطاول على مناهج الأئمة، وعلماء الأمة، أو التهوين من فقه السلف، ومن ظَفِر بخطأ عالم فلا يفرح، ولا يتبع العثرات، ولكن ليصحح الخطأ، ولْيُنبِّه إلى الصواب، يحيط ذلك سياج من الخُلق الفاضل، في لسان عفيف، ونظر متورع وقبل ذلك وبعده هو بحاجة إلى إخلاص القصد لله وحده والتجرد للحق، وليحذر التشهير والتشنيع، وألا يظن بهم إلا خيرًا، قال الله تعالى: «لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا» [النور: ١٢]، وبخاصة أولئك الأعلام الذين يعلمون الناسَ الخيرَ، يجبُ على الأمة أن تحفظ حقوقهم، وتعرف مكانتهم، وتقدرهم حق قدرهم، وتلتزم الأدب معهم، إنهم العلماء وارثوا علم الرسالة خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم في أمته، المحيون لما مات من سنته، فمعلم الناس الخير يصلي عليه الله وملائكته ويستغفر له كل شيء حتى الحيتان في جوف البحر، والنملة في جحرها، فعليكم إخواني بتبجيل العلماء أهل الفضل والإيمان، قال الإمام الطحاوي رحمه الله: «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل». [الطحاوية ص٥٨].

وقال الحافظ ابن عساكر: اعلم وفقنا الله وإياكم لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حقَّ تقاته، أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في الانتقام من منتقصيهم معلومة، ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب. [مقدمة المجموع شرح المهذب].

ومن قبل قال ابن عباس رضي الله عنهما: «من آذى فقيهًا فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد آذى الله عز وجل».

إلى دعاة التجريح:

ألا فليتق الله من أشغل نفسه بتجريح العلماء وطلبة العلم والتحذير منهم، فينشغل بالبحث عن عيوبه للتخلص منها بدلاً من الاشتغال بعيوب الآخرين، ويحافظ على حسناته فلا يضيق بها ذرعًا، فيوزعها على من ابتلى بتجريحهم والنيل منهم، وهو أحوجُ من غيره إلى تلك الحسنات في «يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» [الشعراء: ٨٩]، وأن يشغل نفسه بدلاً من التجريح والتحذير بتحصيل العلم النافع، والجدِّ والاجتهاد فيه ليستفيد ويفيد، وينتفع وينفع، فمن الخير للإنسان أن يشتغل بالعلم تعلمًا وتعليمًا ودعوة وتأليفًا، إذا تمكن من ذلك ليكون من أهل البناء، وألا يشغل نفسه بتجريح العلماء وطلبة العلم من أهل السنة، وقطع الطريق الموصلة إلى الاستفادة منهم، فيكون من أهل الهدم، ومثل هذا المشتغل بالتجريح لا يخلف بعده إذا مات علمًا يُنتفع به، ولا يفقدُ الناس بموته عالمًا ينفعهم، بل بموته يسلمون من شره.

فيا إخواني- العلماءَ العلماءَ، أنزلوهم منازلهم وأجلوهم واحترموهم، قال صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه». [صحيح الجامع: ٥٤٤٣].

ومن وصايا لقمان: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الأرض بوابل المطر».

وأسأل الله عز وجل أن يوفق الجميع لما يرضيه وللفقه في الدِّين والثبات على الحق، والاشتغال بما يعني عمَّا لا يغني، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

ما بين الكليات العامة والأدلة الخاصة

الحلقة ٥٦

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد فقد ذكرنا في الحلقة السابقة، أنه ينبغي للمجتهد وهو ينظر في الأدلة الخاصة أن يستحضر كليات الشريعة ومقاصدها العامة، وأن يبني الحكم على هذه وتلك، أي على الأدلة الكلية والأدلة الخاصة.

وبدأنا في تطبيق هذا بأمثلة عملية في كيفية الجمع ما بين دليل خاص والكليات العامة، وأرى أنه ينبغي تكثير الأمثلة التطبيقية حتى يتضح التصور المأمول، ولا نكتفي على التنظير فقط، فالتنظير يؤسس والتطبيق يبني ويجلي المسألة، فالأمر طردي، فكلما ازدادت الأمثلة، كلما اتضحت المسائل التي يراد بحثها. وقد ذكرنا تطبيقين في الحلقة السابقة، ونستأنف البحث:

التطبيق الثالث: حد السرقة:

قال الله تعالى: «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم» (المائدة: ٣٨)، فهذا نص خاص قطعي الدلالة في إيجاب قطع يد السارق إذا تحققت الشروط في السارق والمسروق، التي ربما تصل إلى العشرين شرطًا. وقد قطع النبي صلى الله عليه وسلم يد المخزومية التي سرقت، كما في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهو في الصحيحين.

الافتراض:

سرق أحدهم لأنه جائع، فلا يجد مالاً يشتري به طعاما، أو معه مال، ولكنه لا يجد طعاما يشتريه.

الفتوى:

نستحضر كلية من كليات الشريعة، وهي قاعدة الاضطرار، وهي قاعدة مطردة بالنص والاستقراء، فوردت بنصها في آيات كثيرة، منها: «وقد فَصَّل لكم ما حُرِّم عليكم إلا ما اضطررتم إليه»، وبالاستقراء كنكاح الإماء بسبب العنت، وصلاة من به سلس البول رغم نجاسة البول (مع توضئه لكل صلاة) والكذب -إن لم يستطع التعريض - كما لو قصد أحدهم قتل رجل مسلم بغير حق، وهو مختف عنده، فله أن ينفي كونه عنده، ولو حلف على ذلك فإنه لا يأثم، وكذلك إباحة النطق بكلمة الكفر عند الإكراه (فالإكراه نوع من الاضطرار).

وأن نضم إلى ذلك كلية أخرى من الكليات الكبرى للشريعة: وهي حفظ النفس، فهو دُفع دفعاً لأن يسرق مضطرًا ليحافظ على نفسه، وهو ذات السبب الذي

أباح الله به أكل الميتة ونحوها للمضطر.
لذا فإن عمر رضي الله عنه لما أوقف حد السرقة في عام الرمادة، فإنه نظر إلى قاعدة الاضطرار في الجوع الذي يدفع صاحبه للسرقة والاضطرار شبهة تمنع الحد عن السارق بل تبيح له السرقة في حدود الضرورة (انظر الموسوعة الفقهية ٢٦/٢٠٥).
كما أخرج عبد الرزاق بسنده عن عمر رضي الله عنه لا يقطع في عذق، ولا عام السنة. (مصنف عبد الرزاق ح ١٨٩٩٠). قال الراوي: سألت أحمد عن هذا الحديث، فقال: العذق: النخلة، وعام السنة: المجاعة، فقلت لأحمد: تقول به؟ فقال: إي لعمري، قلت: إن سرق في مجاعة لا تقطعه؟ فقال: لا، إذا حملته الحاجة على ذلك، والناس في مجاعة وشدة.
قال ابن القيم: وقد وافق أحمد على سقوط القطع في المجاعة: الأوزاعي، وهذا محض القياس، ومقتضى قواعد الشرع إذا كانت السنة سنة مجاعة وشدة، غلب على الناس الحاجة والضرورة، فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه إلى ما يسد به رمقه، ويجب على صاحب المال بذل ذلك له، إما بالثمن أو مجاناً، على الخلاف في ذلك، والصحيح وجوب بذله مجاناً....
ثم قال ابن القيم: وهذه شبهة قوية تدرأ القطع عن المحتاج وعام المجاعة يكثر فيه المحاويج والمضطرون، ولا يتميز المستغني منهم والسارق لغير حاجة من غيره (انظر: إعلام الموقعين ٣/١٧-١٨).
يقول القرطبي: الاضطرار لا يخلو أن يكون بإكراه من ظالم أو بجوع في مخمصة (تفسير القرطبي ٢/٢٢٥).
وقاعدة الاضطرار هنا عمت غالب الناس في عام الرمادة، فأوقف عمر بمقتضاها قطع يد السارق. وأيضا قد استخدم ذات القاعدة عندما خصت أفرادا بأعينهم، ولم تكن عامة، كعام الرمادة. وقد درأ عمر رضي الله عنه الحد عن غلمان لحاطب بن أبي بلتعة لما سرقوا من أجل الجوع. فعن ابن حاطب أن غلمة لحاطب بن أبي بلتعة سرقوا ناقة لرجل من مزينة، فأتي بهم عمر رضي الله عنه فأقروا، فأرسل إلى عبد الرحمن بن حاطب فجاء، فقال له: إن غلمان حاطب سرقوا ناقة رجل من مزينة، وأقروا على أنفسهم، فقال عمر رضي الله عنه: يا كثير بن الصلت، اذهب فاقطع أيديهم، فلما ولى بهم، ردهم عمر رضي الله عنه، ثم قال: أما والله لولا أني أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم، حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه لحل له، لقطعت أيديهم.. (مصنف عبد الرزاق ح ١٨٧٩٩).
فحالة الضرورة التي بنيت عليها قاعدة الاضطرار، تبيح ما حرَّم الله تعالى، فإذا ما ارتفعت رجع المحرم إلى أصله من التحريم. وأوقف بها عمر حد السرقة، فلما ارتفع القحط والجدب عاد عمر رضي الله عنه لإقامة الحد مرة ثانية.
تنبيه للفائدة: الحديث الذي رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لا قطع في زمن مجاعة) لم يصح؛ ففي سنده مجاهيل ومتهم بالكذب، انظر السلسلة الضعيفة ح ١٦٧٣ فلا علاقة للتطبيق السابق به.

التطبيق الرابع: صلاة المنفرد خلف الصف:

عن وابصة بن معبد رضي الله عنه، قال: رأى رسول الله رجلاً يصلي خلف الصف وحده، فأمره أن يعيد الصلاة (صحيح سنن الترمذي وأبي داوود وغيرهما).

الافتراض:

جاء رجل إلى المسجد بعد أن أقيمت الصلاة واصطفت الصفوف، فبحث فلم يجد أي فرجة في الصف، فصلى منفردًا خلف الصف، فما حكم صلاته؟

الفتوى:

اختلف أهل العلم فيمن صلى خلف الصف وحده، فقالت طائفة: صلاته فاسدة على ظاهر الحديث، وهذا قول النخعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه.... وقال مالك والأوزاعي والشافعي: صلاة المنفرد خلف الإمام جائزة، وهو قول أصحاب الرأي، وتأولوا مراده بالإعادة على معنى الاستحباب دون الإيجاب (معالم السنن للخطابي١/١٨٥).
فقال مالك: لا بأس أن يصلي الرجل خلف الصف وحده، وقد كره أن يجذب إليه رجلاً (حديث جذب رجل من الصف ضعيف انظر السلسلة الضعيفة ح ٩٢١)، وقال أبو حنيفة والشافعي وأصحابهما والليث بن سعد والثوري: إن صلى رجل خلف الصف وحده أجزأه، وقال الأوزاعي وأحمد بن حنبل وإسحاق وأكثر أهل الظاهر: لا

يصلي الرجل خلف الصف وحده، وإن فعل فعليه الإعادة.

قال ابن عبد البر: احتج من لم يجز ذلك بحديث وابصة بن معبد.... ومن أجاز صلاة الرجل خلف الصف وحده احتج بحديث أبي بكرة أنه ركع دون الصف، فلم يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإعادة، وقال له: زادك الله حرصاً ولا تعد (الاستذكار لابن عبد البر ٢/٣١٥- ٣١٦).

يقول الشيخ ابن عثيمين فيمن جاء متأخرًا عن الصلاة ولم يجد مكاناً له في الصف: هذه المسألة لها ثلاثة أوجه: ١- فإما أن يصلي وحده خلف الصف. ٢- وإما أن يجذب أحدًا من الصف فيصلي معه. ٣- وإما أن يتقدم فيصلي إلى جنب الإمام الأيمن، وله وجه رابع وخامس: ٤- أن ينتظر أحدًا يصف إلى جواره، وقد لا يأتي أحد. ٥- أن يدع الصلاة مع الجماعة.

فإذا نظرنا إلى الكليات، فإنه توجد كلية كبرى ومقصد من مقاصد التشريع، وهي رفع الحرج، قال الله تعالى: «وما جعل عليكم في الدين من حرج» وقال الله تعالى: « فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» (التغابن: ١٦)، فالاختيار أن يصلي خلف الصف وصلاته صحيحة، وأن يحمل الحديث على المتعمد أن يقف خلف الصف مع وجود مكان له فيه. أما جذب أحد من الصف، فالحديث ضعيف كما سبق، والاصطفاف بجوار الإمام لا ينبغي له؛ لأنه لا بد للإمام أن يكون متميزًا بمكانه، ثم إذا جاء ثانٍ وثالث حدث اللغط في الصلاة. أما أن يدعَ الصلاة مع الجماعة، فالجماعة واجبة، والمصافة فيها خلاف بين أهل العلم، هل هي واجبة أم مستحبة، ولو قلنا بالوجوب، فمن القواعد المقررة: (إذا تعارض واجبان قدّمنا أوكدهما، ولا شك أن الأمر بالصلاة في الجماعة أوكد) (انظر فتاوى أركان الإسلام لابن عثيمين صـ٣٧٤- ٣٧٦).

واختار شيخ الإسلام ابن تيمية صحة صلاة المنفرد خلف الصف، إذا لم يجد موقفاً له إلا خلف الصف، فقال: والأظهر صحة صلاته في هذا الموضع؛ لأن جميع واجبات الصلاة تسقط بالعجز (الفتاوى الكبرى ٢/٣٢٧).

ويرجح هذا ما ورد في أسباب ورود الحديث من رواية علي بن شيبان رضي الله عنه؛ إذ قال: خرجنا حتى قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه وصلينا خلفه، فرأى رجلاً يصلي خلف الصفوف فوقف عليه رسول الله حتى انصرف، فقال: لا صلاة للمنفرد... الحديث: فالحديث قد يشير إلى أن الرجل كان متعمدًا الوقوف خلف الصف؛ لأنه لم يعتذر للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه لم يجد مكانا في الصف. والله أعلم (انظر البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف لبرهان الدين الحسيني ١/٩٣- ٩٤، وانظر إرواء الغليل للألباني ٢/٣٢٩).

التطبيق الخامس: ابن الزنا:

في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ولد الزنا شر الثلاثة" (صحيح سنن أبي داود وغيره، وفي مسند أحمد وأشار الأرناءوط إلى صحة إسناده ح ٨٠٩٨).

الافتراض:

وُلد الولد من زنا، ثم نشأ صالحًا، فهل ينطبق عليه الحديث؟

الفتوى:

هذا الحديث من الأحاديث المشكلة؛ لأن ظاهره أن ولد الزاني والزانية يلحق بهما في الشر، بل هو شر من أبويه؛ لذا فقد اختلفت مسالك العلماء في توجيهه

١- منهم من قيّده برواية لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أنه شر الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه (وهو في المسند ح ٢٤٧٨٤، وإسناده ضعيف، ورُوي مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما عند الطبراني ح ١٠٦٧٤ وسنده ضعيف أيضا، انظر المسند بتحقيق الأرناءوط فإنه أشار إلى أنه ضعيف جدًا، وضعفه الألباني في شرحه للحديث ٦٧٢ بالصحيحة).

٢- ومنهم من قال: إنه واقعة عين (تخص إنسانًا بعينه لا تتعداه إلى غيره)؛ فقد رُوي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها أنكرت على أبي هريرة رضي الله عنه تحديثه بهذا الحديث، وأخبرت أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما

قصد ذلك إنسانا بعينه، فقد أخرج الطحاوي في مشكل الآثار (٩١٠) بسنده عن عروة قال: بلغ عائشة أن أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ولد الزنا شر الثلاثة) فقالت: يرحم الله أبا هريرة....... لم يكن الحديث على هذا: إنما كان رجل يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إنه مع ما به ولد زنى، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو شر الثلاثة. (والحديث ضعيف أشار إلى ضعفه الألباني في الصحيحة في شرحه للحديث ٦٧٢).

٣- حمل الحديث على أن ولد الزنا إذا سار على نهج أبويه فيكون هو شرهم؛ لأنه وُلد من زنا ثم هو يزني، لكن إذا صلح حاله واتقى الله تعالى، فعندنا كلية من كليات الشريعة نصًا، وهي قوله تعالى: «ولا تزر وازرة وزر أخرى»، واستقراءً من نصوص كثيرة في الشريعة، ويؤيد هذا ما ورد موقوفًا على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها كانت إذا قيل لها: هو شر الثلاثة (يعني ولد الزنا)؟ عابت ذلك، وقالت: ما عليه من وزر أبويه، قال الله: «ولا تزر وازرة وزر أخرى» (أخرجه عبد الرزاق في المصنف ح ١٣٨٦٠، ١٣٨٦١، وسنده صحيح كما قال الأرناءوط).

ويؤيد هذا المعنى، ما ورد عن سفيان في رواية البيهقي أنه قال: يعني إذا عمل بعمل أبويه (السنن للكبرى ح ١٩٩٩٥، قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وقال الألباني: وهو كما قالا. (انظر الصحيحة ٢٧٧/٢).

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا سمع هذا الحديث قال: إنه خير الثلاثة. قال الخطابي: فأما قول ابن عمر: أنه خير الثلاثة فإنما وجهه أنه لا إثم له في الذنب الذي باشره والداه، فهو خير منهما ببراءته من ذنبهما (معالم السنن ٨١/٤).

وقال ابن عباس: لو كان شر الثلاثة، ما استوفى بأمه أن ترجم حتى تضعه (يشير إلى الغامدية التي لم يقم النبي صلى الله عليه وسلم الحد حتى وضعت حملها وأرضعته وفطمته، ثم دفعه إلى رجل من المسلمين وأمر بها فَحُدَّت) (الاستذكار لابن عبد البر ٣٤١/٧).

التطبيق السادس: هل مال الأبناء ملك للآباء؟

في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رجلا قال يا رسول الله إن لي مالاً وولدًا، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي، فقال: أنت ومالك لأبيك. (صحيح سنن ابن ماجه وغيره).

الافتراض:

الوالد يريد أن يأخذ مال الولد بكامله، فهل يجوز له ذلك عملا بظاهر الحديث؟

الفتوى:

إن هناك كلية مقررة من كليات الشريعة، وهي أن المالك للمال العاقل البالغ فإنه يتصرف فيه، وليس لأحد التصرف فيه بغير إذنه، فالمال وما يتعلق به من الكليات الخمس المعروفة، فهل الابن مع أبيه استثناء من هذه الكلية؟

فالحديث ليس على ظاهره جمعًا بينه وبين قاعدة التملك، قال ابن حبان: ذكر خبر أوهم من لم يحكم صناعة العلم أن مال الابن يكون للأب... ثم ذكر الحديث، وعقَّب عليه بقوله: ومعناه أنه صلى الله عليه وسلم زجر عن معاملته أباه بما يعامل به الأجنبي، وأمره ببره والرفق به في القول والفعل معًا، إلى أن يصل إليه ماله، فقال له: أنت ومالك لأبيك، لا أن مال الابن يملكه الأب في حياته عن غير طيب نفس من الابن له (صحيح ابن حبان).

ويرى بعض أهل العلم أن اللام في قوله صلى الله عليه وسلم: لأبيك: هي للإباحة وليست للتمليك، فإن مال الولد له وزكاته عليه وهو موروث عنه. (انظر نيل الأوطار ٢٣٢/٩).

قال الشيخ ابن عثيمين: إن الإنسان إذا كان له مال، فإن لأبيه أن يتبسط بهذا المال، وأن يأخذ منه لكن بشروط: الشرط الأول: أن لا يكون في أخذه ضرر على الابن، فإن كان في أخذه ضرر، كما لو أخذ غطاؤه الذي يتغطى به من البرد أو طعامه الذي يدفع به جوعه؛ فإن ذلك لا يجوز للأب.

الشرط الثاني: ألا تتعلق به حاجة الابن، كما لو كان للابن سيارة يحتاجها، وليس له ما يشتري أخرى، فليس للأب أخذها.

الشرط الثالث: ألا يأخذ المال من أحد أبنائه ليعطيه لابن آخر.. (فتاوى نور على الدرب بتصرف ٢/٦).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

باب الفقه

صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم

قراءة السورة بعد الفاتحة

الحلقة الأولى

إعداد/ د. حمدي طه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وآله وصحبه أجمعين، وبعدُ: سنبدأ في هذا العدد- إن شاء الله- البحث في قراءة السورة بعد الفاتحة في الصلاة، والبحث فيها يتناول أمورًا؛ أهمها: حكمها وقدر القراءة الذي تتم به السنة، وهدي النبي صلى الله عليه وسلم في القراءة في الصلاة وقراءة الإمام في صلاة الجماعة.

أولاً: حكمها:

الكلام هنا على قراءة السورة بعد الفاتحة في صلاة الصبح والركعتين والأوليين من صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ينبغي أن نفرق بين حالتين عند الحديث عن حكم القراءة:

الحالة الأولى: حالة المأموم.

الثانية: حالة الإمام والمنفرد.

فأما المأموم فيفرق بين الصلاة الجهرية والسرية، فلا يجوز له قراءة السورة بعد الفاتحة في الصلاة الجهرية حال قراءة الإمام؛ لأنه يجب عليه الاستماع إلى قراءة الإمام؛ لقوله تعالى: « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» [الأعراف: ٢٠٤]، وقد بيَّنا أن الفاتحة خرجت بالنص فبقي غيرها على أصل الأمر، أما الصلاة السرية فيسن له القراءة خلف الإمام.

أما الإمام والمنفرد، فذهب جمهورُ الفقهاء- المالكيةُ والشافعيةُ والحنابلةُ- إلى أنه يُسنُّ للمُصلي أن يقرأ شيئًا من القرآن بعد الفاتحة، وذهب الحنفية إلى أن قراءة أقصر سورة من القرآن، أو آيٍ يقوم مقامها بعد الفاتحة واجب وليس بسنة، فإن أتى بها انتفت الكراهة التحريمية. [الموسوعة الفقهية الكويتية: ٤٨/٣٣].

واستدل الحنفية ومن وافقهم: بما ثبت في مسلم من حديث عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن فصاعدًا». «فصاعدًا»: استدل به على وجوب قدر زائد على الفاتحة، قالوا: فهنا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فصاعدًا»، فدل ذلك على أنه يجب عليه أن يقرأ مع فاتحة الكتاب سورة، وأنه لا يجزئه سوى ذلك. [شرح زاد المستقنع، للحمد ٤٨/٥].

وتُعُقِّب بأنه ورد لدفع توهم قصر الحكم على الفاتحة، قال البخاري في «جزء القراءة»: هو نظير قوله: «تُقطع اليد في ربع دينار فصاعدًا». [فتح الباري لابن حجر ٢٤٣/٢].

قال الشيخ الحمد : ومعلوم من الأدلة الشرعية والذي عليه أهل العلم أنها تُقطع في ربع دينار، فالحديث معناه: تُقطع اليد في ربع دينار فأكثر، وكذلك هذا الحديث يُحمل على هذا الحمل، وهو ظاهر في ذلك، فيكون المعنى: لا صلاة مجزية إلا بالفاتحة، ومع فاتحة الكتاب آيات أُخر. [شرح زاد المستقنع ٥٠/٥].

واحتجوا أيضًا بما ثبت عند أبي داود من حديث أبي سعيد الخدري: قال: «أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن نقرأ أم الكتاب وما تيسر». قالوا: فهذا أمر وظاهر الأمر وجوب ذلك.

قال الشوكاني: «وهذه الأحاديث» لا تقصر عن الدلالة على وجوب قرآن مع الفاتحة. [نيل الأوطار: للشوكاني ٢٢٤/٢].

وأجيب عن حديث أبي سعيد: بأن الأمر فيه يُحمل على الإرشاد والاستحباب، جمعا بينه وبين الأدلة الواردة في وجوب قراءة الفاتحة فقط .

والواو هنا إنما تفيد دلالة الاقتران، ودلالة الاقتران ضعيفة عند الأصوليين. [شرح الزاد للحمد ٥٠/٥].

قلتُ: ويقوِّي حمل الأمر على الاستحباب ما استدل به الجمهور بما ثبت في أبي داود في قصة صلاة معاذ بأصحابه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للفتى: ما تصنع يا ابن أخي إذا أنت صليت؟ فقال: «أقرأ بفاتحة الكتاب وأسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار، ولا أدري ما دندنتك ولا دندنة معاذ».

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني ومعاذًا حول هاتين ندندن». وفي رواية: «حولها ندندن». قال الإمام الخطابي: والدندنة: قراءة مبهمة غير مفهومة. [معالم السنن، لأبي سليمان الخطابي ١٧٧/١].

ووجه الاستدلال إقرار النبي صلى الله عليه وسلم الرجل على الاقتصار على قراءة الفاتحة. وأيضاً بما في البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة أنه قال: «في كل صلاة يقرأ، فما أسمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسمعناكم، وما أخفى عنا أخفينا عنكم، وإن لم تزد على أم القرآن أجزأت وإن زدت فهو خير»، وهذا الأثر اختلف أهل العلم في وقفه ورفعه، قال الشوكاني: الظاهر من السياق أن قوله: وإن لم تزد.. إلخ، ليس مرفوعًا، ولا مما له حكم الرفع فلا حجة فيه، قال الحافظ في الفتح: وظاهر سياقه أن ضمير سمعته للنبي صلى الله عليه وسلم فيكون مرفوعًا. [نيل الأوطار ٢٢٤/٢].

فهذه الأحاديث تدل على أن ما زاد على الفاتحة ليس بفرض في الصلاة، فقالوا باستحباب ما زاد على الفاتحة لتآتلف الأخبار. [عون المعبود شرح سنن أبي داود شمس الحق العظيم آبادي ٢٧/٣].

فالراجح: مذهب عامة العلماء من أن فاتحة الكتاب تجزئ في الصلاة، أما قراءة آيات أخر أو سورة أخرى فذلك مستحب.

أما بالنسبة للنوافل فيسن قراءة السورة بعد الفاتحة وهذا كان غالب حال النبي صلى الله عليه وسلم، ويجوز الاقتصار على الفاتحة لفعله صلى الله عليه وسلم ذلك أحيانًا كما في حديث عائشة في سنة الفجر. قالت: إن كنت لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتي الفجر حتى أقول اقرأ فيها بأم الكتاب. [رواه أبو داود، وصححه الألباني، وانظر صحيح أبي داود ١١٤١].

قراءة السورة في الركعتين في الثالثة والرابعة:

أَمَّا السُّورَة فِي الثَّالِثَة وَالرَّابِعَة فَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاء هَلْ تُسْتَحَبّ أَمْ لَا ؟ فَكَرِهَ ذَلِكَ مَالِك رَحِمَهُ اللَّه تَعَالَى، وَاسْتَحَبَّهُ الشَّافِعِيّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فِي قَوْله الْجَدِيد دُون الْقَدِيم ، وَالْقَدِيم هُنَا أَصَحّ ، وَقَالَ آخَرُونَ : هُوَ مُخَيَّر إِنْ شَاءَ قَرَأَ وَإِنْ شَاءَ سَبَّحَ ، وَهَذَا ضَعِيف ، [شرح النووي على صحيح مسلم ١٠٦/٤].

قلت : قد ورد ما يدل على الاقتصار على الفاتحة في الركعتين الثالثة والرابعة، وما يدل على قراءة السورة بعدها؛ فقد روى أبو قتادة رضي الله عنه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – «كان يقرأ في الظهر في الأُولَيين بأم الكتاب وسورتين، وفي الركعتين الأُخْرَيين بأم الكتاب، ويُسْمِعُنا الآية، ويطوّل في الركعة الأولى ما لا يطوّل في الركعة الثانية، وهكذا في العصر، وهكذا في الصبح» رواه البخاري.

ورُوي عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه قال «قال عمر لسعد: لقد شكَوْك في كل شيء حتى الصلاة، قال : أما أنا فأمدُّ في الأُوليين وأحذف في الأُخريين، ولا آلو ما اقتديتُ به من صلاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، قال: صدقتَ ذلك الظنُّ بك أو ظني بك» رواه البخاري.

قال الشيخ محمود عويضة : فقول سعد بن أبي وقاص لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما: «أَمُدُّ في الأُولـيين وأحْـذف في الأُخـريـين» يؤكد هذه السنة النبوية، وهي القراءة في الركعتين الأوليين فحسب (الجامع لأحكام الصلاة ٢٢١/٢).

وفي حديث أبي سعيد ما يدل على خلاف ذلك: قال أبو سعيد : (كنا نحزر قيام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الظهر والعصر فحزرنا قيامه في الركعتين الأوليين من الظهر قدر : «ألم» السجدة ، وفي الأخيرتين قدر النصف من ذلك). رواه مسلم.

فهذا يدل على أنه يقرأ بفاتحة الكتاب وسورتين في الأخيرتين من الظهر ، لأنه إذا كانت الركعة الثالثة مقدار آية ، فمعنى ذلك أن النبي – صلى الله عليه وسلم – يقرأ سورة الفاتحة ويقرأ سورة مع الفاتحة قدر ثمان آيات. فهذا الحديث فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ربما قرأ مع فاتحة الكتاب سورة في الركعتين الأخريين من الظهر، وهو جائز ولا حرج فيه ، بل يستحب أحياناً . (شرح الزاد للحمد ١١٥/٣).

ويمكن الجمع ، فيقال : إن الرسول أحياناً يفعل ما يدل عليه حديث أبي قتادة ، وأحياناً يفعل ما يدل عليه حديث أبي سعيد ؛ لأن الصلاة ليست واحدة حتى نقول فيه تعارض . (إيقاظ الأفهام شرح عمدة الأحكام سليمان بن محمد اللهيميد ٩٨/٢).

قلت: فعلى ذلك، فالقول بكراهة القراءة بعد الفاتحة في الثالثة والرابعة لا وجه له؛ لأنه معارض لما ثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم- .

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

القصة في كتاب الله

نزول عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان

الأدلة على نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان

الحلقة الثانية

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه، والصلاة والسلام على النبي محمد الأمي الذي أرسله ربه بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وبعدُ:

أخي القارئ لعلك تابعت معنا في اللقاء السابق الحديث عن سبب اختيار عيسى ابن مريم عليه السلام لينزل آخر الزمان، وملخص ذلك أن عيسى عليه السلام رُفع إلى السماء حيًا ولم يمت حتى الآن، ولن يموت حتى يبعثه الله آخر الزمان، فيرد الشبهات التي كثرت حوله في حياته وبعد رفعه إلى الله، ويجمع الناس على دين الإسلام الذي اختاره الله للناس، ولن يقبل دينًا سواه، وسينزل عيسى عليه السلام واحدًا من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم وداعيًا إلى الله وحده لا شريك له على ملة إبراهيم حنيفًا مما سيأتي بيانه- إن شاء الله- بشيء من التفصيل في لقاءات لاحقة،

ومن تمام الفائدة أن نشير إشارة سريعة إلى عقيدة الصلب والفداء عند النصارى، والتي أساسها الجهل بالله وبصفاته العليا وأسمائه الحسنى، وهذه العقيدة تقوم على توارث الخطيئة، وانتقالها من آدم إلى ذريته، وعجز الله عن مغفرتها -عياذا بالله- حتى اضطر أن ينزل بنفسه أو ينزل ولده البكر ليموت صلبًا ليطهّر البشرية من رجس الخطيئة التي انتقلت إليهم وتوارثوها عن أبيهم!!

والحقيقة أن هذا كلام لا يقبله عقل سليم ولا نقل صحيح، والقضية كلها جلّاها القرآن الكريم في آية واحدة، قال الله تعالى: «وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ» [طه: ١٢٢]، وقع آدم عليه السلام في الذنب بسبب الضعف البشري والنسيان الفطري، فلما ذكّره ربه تذكر وتاب واستغفر، فقبل الله توبته وهداه؛ لأن الله غفور رحيم، فلا ذنب إذن يُتوارث ولا مشكلة، وهذا الهراء الذي وقع فيه

النصارى من ضلالهم وتلاعب الشيطان بهم.

ثانيًا: ينزل عيسى لأنه بشر ورسول يموت في الأرض كما يموت البشر، ولأن الله قضى أن يكلم الناس في المهد وكهلاً، وقد رُفع إلى السماء حيًا قبل الكهولة، وسيعود ليكلم الناس في الكهولة، والله على كل شيء قدير.

الأدلة على نزول عيسى عليه السلام:

وهي أدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ومن أقوال أهل العلم بل ومن الواقع المشاهد عند أهل الكتاب:

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم:

١- قال الله تعالى: «وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» [الزخرف: ٥٧- ٦١].

والشاهد في هذه الآيات قوله تعالى: «وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ» [الزخرف: ٦١]، وما تشير إليه الآية: «وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ» بمعنى أنه بنزول عيسى آخر الزمان يُعلم قرب مجيء الساعة، وفي القراءة الأخرى: «وإنه لَعَلَم للساعة» بمعنى نزول عيسى أمارة من أماراتها، وبهذا قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي وقتادة، وقال القرطبي رحمه الله ناقلاً عن هؤلاء المتقدمين: «وإنه خروج عيسى عليه السلام، وذلك من أعلام الساعة؛ لأن الله ينزله من السماء قبيل قيام الساعة، وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة ومالك بن دينار والضحاك: «وإنه لَعَلَم للساعة» أي: أمارة من أماراتها». [تفسير القرطبي ج٩].

وقد رجح ابن كثير رحمه الله هذا الاتجاه واستبعد ما عداه قائلاً: «ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى: «وإنه لَعَلَم للساعة» أي: أمارة ودليل على وقوع الساعة، قال مجاهد: «وإنه لعلم للساعة» أي: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم عليهما السلام قبل يوم القيامة، وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عباس وأبي العالية وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إمامًا عدلاً وحكمًا مقسطًا». [تفسير ابن كثير ج٤].

ثانيًا: الأدلة من السنة النبوية:

هي كثيرة وكما ذكر ابن كثير وغيره بلغت حد التواتر؛ منها ما هو في الصحيحين، ومنها ما انفرد به مسلم أو البخاري، ومنها ما رواه أصحاب السنن أو المسانيد وغير ذلك، وسنذكر هذه الأحاديث أو بعضها عند الحديث عن صفة عيسى عليه السلام ووقت ومكان نزوله، وأعماله المختلفة، ومدة بقائه وأحوال العالم خلال وجوده فيما سيأتي من وقفات إن شاء الله ونكتفي الآن بذكر حديث واحد مما رواه ابخاري ومسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ، والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ ، زاد في حديث صالح عن الزهري: ، وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها ، ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم:) وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته (الآية [النساء]. وأخرجا من حديث ابن شهاب عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم ، وفي رواية ابن أخي ابن شهاب ، فأمكم ، وفي رواية ابن أبي ذئب عن الزهري ، فأمكم منكم ، وقال ابن أبي ذئب: تدري ما أمكم منكم؟ قلت: تخبرني. قال: فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى، وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم (الجمع بين الصحيحين للحميدي (١٠/٣)

ثالثًا: بالرغم من وضوح الأدلة وصراحتها إلا أن هناك شبه أثارها بعض أتباع المدرسة العقلية التي أسسها الشيخ محمد عبده وسار على نهجها كثيرون، وهنا ننقل أقوال أهل العلم في الرد على هؤلاء ونختصر القول فيما يلي:

١- قال الإمام المحقق محمد ناصر الدين

الألباني: «واعلم أن أحاديث الدجال ونزول عيسى عليه السلام متواترة يجب الإيمان بها، ولا تغتر بمن يدعي فيها أنها أحاديث آحاد، فإنهم جهال بهذا العلم وليس فيهم من تتبع طرقها، ولو فعل لوجدها متواترة كما شهد بذلك أئمة هذا العلم كالحافظ ابن حجر وغيره، ومن المؤسف حقًا أن يتجرأ البعض على الكلام فيما ليس من اختصاصهم، لا سيما والأمر دين وعقيدة، وبرغم بعضهم أن روايات نزول عيسى بعد الدجال إنما هي من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار، وهذا اختلاق محض». [من تعليقات الشيخ على شرح العقيدة الطحاوية].

٢- وعقد الشيخ التويجري- رحمه الله- في كتاب المفيد «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة»، فصولاً مطولة للرد على شبهات المنكرين لأحاديث نزول عيسى عليه السلام نجتزئ منه قليلاً لتمام الفائدة، قال رحمه الله: «وقد اشتملت الأبواب التي في ذكر نزول عيسى عليه السلام على خمسة وخمسين حديثًا مرفوعًا، أكثرها صحيح والباقي غالبه من الحسان، وجاء في ذلك آثار كثيرة عن بعض الصحابة والتابعين، ذكرتها في أول الأبواب وفي أثنائها، ومع هذا فقد أنكر بعض الأهواء والبدع نزوله وزعموا أنه قد مات، وقد تبعهم على ذلك بعض المشايخ العصريين، وقد رأيت جوابًا لبعض أهل العلم أنكر فيه حياة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وزعم أنه قد مات موتة عادية، وأنكر نزوله إلى الأرض في آخر الزمان حكمًا عدلاً. فخالف ما جاء بالكتاب وما تواترت به الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمع عليه سلف الأمة. [راجع إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: ٣/١٢٨- ١٤٨].

وأخذ الشيخ التويجري في نقل أقوال من زعم اضطراب أحاديث نزول عيسى كما زعم أن ذلك هو قول علماء الحديث، ثم أخذ في نقل أقوال أهل العلم ردًا على مزاعم شلتوت ومن زعم زعمه، فقال: والجواب أن يقال: هذا غير صحيح، فإن علماء الحديث قد تلقوا الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام بالقبول ودوّنوها في كتب الصحاح والسنن والمسانيد، وذكروا مضمونها في كتب السنن، قال الإمام أحمد- رحمه الله- في «عقيدة أهل السنة والجماعة»: «والإيمان أن المسيح الدجال خارج، مكتوب بين عينيه كافر، والأحاديث التي جاءت فيه والإيمان بأن ذلك كله كائن، وأن عيسى ابن مريم ينزل فيقتله بباب لد...». وقال الطحاوي- رحمه الله- في العقيدة المشهورة: «ونؤمن بأشراط الساعة؛ من خروج الدجال، ونزول عيسى من السماء».

ويواصل الشيخ نقوله عن أهل العلم قائلاً: قال الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رحمه الله في كتابه «مقالات الإسلاميين»، ما مجمله في عليه أهل الحديث والسنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات (إلى أن قال): «ويصدّقون بخروج الدجال وأن عيسى ابن مريم يقتله». انتهى.

وقال الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي- رحمه الله-: «والإيمان بما ثبت من خروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام حكمًا عدلاً يقتل الدجال». انتهى.

وقال الإمام أبو أحمد بن الحسين الشافعي المعروف بابن الحداد في عقيدته: «وإن الآيات التي تظهر عند قرب الساعة من الدجال ونزول عيسى عليه السلام، والدخان والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وغيرها من الآيات وردت بها الأخبار الصحاح؛ حق».

وواصل الشيخ رحمه الله ذكر أقوال أهل العلم مثل ابن تيمية وابن القيم وابن قدامة المقدسي والقاضي عياض والإمام النووي والإمام المناوي وغيرهم كثير مما يضيق المجال بذكر أقوالهم، ومن أراد المزيد فليراجع الكتاب المشار إليه نسأل الله تعالى الهداية والتوفيق،والحمد لله رب العالمين.



فوائد وعبر من قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فقد انتهينا في العدد السابق عند هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بشيء من الإيجاز لاشتهار أحداث الهجرة عند جمهور المسلمين، وهذه المرة- إن شاء الله- نتكلم عن وصوله صلى الله عليه وسلم المدينة، وأخذ العبر من دخوله المحمود إلى المدينة المباركة، لكنَّ موقفًا جليلاً واجه النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالطريق إلى المدينة يحسنُ أن نذكره في البداية لما فيه من الفوائد.

العناية والحرص على دعوة المنحرفين

أخرج عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده عَنْ فَائِدٍ مَوْلَى عَبَادِلَ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، فأرسل إبراهيم إلى ابنَ سَعد حتى إذَا كُنا بِالْعَرْجِ (قرية بين مكة والمدينة) أتانا ابن سعد، وَسَعْدٌ هُوَ الذي دَلَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى طَرِيقِ رُكوبه، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَخْبِرْنِي مَا حَدَّثَكَ أَبُوكَ، قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم ومعه أبو بكر، وكان لأبي بكر عندنا بنتٌ مسترضعة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة، فقال له سعد: هذا الجبل الغائر من ركوبه، وبه لصان من أسلم يقال لهما المهانان، فإن شئت أخذنا (مررنا) عليهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خُذ بنا عليهما». قال سعد: فخرجنا حتى أشرفنا على الجبل، إذا أحدهما يقول لصاحبه لما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم: هذا اليماني (أي القادم من جهة الجنوب وهي اليمن)، فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليهما الإسلام فأسلما، ثم سألهما عن أسمائهما، فقالا: نحن المهانان، فقال: بل المكرَّمان». وأمرهما أن يقدما عليه المدينة. [الفتح الرباني: ٢٠/٢٨٩].

والملاحظ في هذه الرواية أن النبي صلى الله عليه وسلم اختار الطريق المختصر مع علمه بأن بالطريق لصين، قد يتعرض صلى الله عليه وسلم لخطر هجوم عليه من هذين اللصين، لكنه صلى الله عليه وسلم فضَّل المرور عليهما، متوكلاً على الله تعالى واثقًا بتأييده، ثم لأن الله تعالى أرسله رحمة للعالمين، فطمع النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون لهذين اللصين نصيب من رحمة الله بإسلامهما، فأسلما ولله الحمد، وفي إسلامهما دليل على قوة تأثير هذا الدين العظيم ووصوله إلى النفوس والقلوب مهما ارتكبت من المعاصي والأعمال الشريرة، خاصة إذا وافق هذا الداعية المخلص المتجرد الحريص على توصيل الحق إلى الناس.

وفي هذا درس للدعاة والمصلحين ألا ييأسوا من دعوة المخالفين مهما كان انحرافهم، والحرص على هدايتهم ودلالتهم الحق الذي ربما لم يرشدهم إليه أحد من قبل، وألا يكتفي الدعاة بالنقد والتوبيخ، بل عليهم أن يصلوا إلى هؤلاء المخالفين في مجالسهم ونواديهم ودورهم وأماكن عملهم، فإن الإسلام في نقائه وصفائه إذا صادف قلبًا خاليًا تمكن منه، ولله الحمد والمنة.

ولقد كان اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بتغيير اسميْ هذين الرجلين من «المهانان» إلى «المكرّمان»، فيه دلالة عظيمة على أن الإسلام دين شامل يعتني بكبار الأمور وصغارها، ثم إن هذا يبين أنه ليس للمسلمين مَثَل السَّوْء، فالإسلام

يعتني بالسلوك والخُلق والقدوة، ويعتني بتهذيب الروح بل والمظهر والشكل الخارجي.

وإن في إسلام هذين اللصين بهذه السرعة درسًا لمن يسمعون عن الإسلام سنين متطاولة ولم يبذلوا الجهد لسماع هذا الخير من أهله، بنقائه وصفائه.

وصول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة:

سمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرَّة ينتظرونه، حتى يردهم حرّ الظهيرة، فانقلبوا يومًا بعدما أطالوا الانتظار، فلما أوَوْا إلى بيوتهم أَوْفَى رجل من يهود على أُطُم من آطامهم (أي: حصن) لأمر ينظر إليه؛ فبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيِّضين (أي: لابسين ثيابا بيضا) يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب؛ هذا جدكم (صاحبكم) الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صائمًا، فطفق من جاء من الأنصار- ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم- يحيِّي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك.

فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت الناقة عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربدًا للتمر (مكان يجفف فيه التمر) لسهل وسهيل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا إن شاء الله المنزل». ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدًا، فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه (اشتراه) منهما، ثم بناه مسجدًا، وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه، ويقول وهو ينقل اللبِن (الطوب):

هذا الحِمالُ لا حِمالُ خيبرْ

هذا أبرُّ ربَّنا وأطْهَرْ

يعني أن ما نحمله به اللبن والطوب، هذا هو الحمال الحقيقي ذو القيمة العالية؛ لأنه يُرجى به رضا الله وثواب الآخرة، وهذا أفضل مما نبيعه من التمر لخيبر من الأحمال الكبيرة؛ لأنها لدنيا فقط.

قال البخاري: ويقول أيضًا:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة

فارحم الأنصار والمهاجرة

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يُسمَّ لي. [صحيح البخاري ٧/٢٣٩ ح٣٩٠٦ مناقب الأنصار].

وفي الحديث ذكر خبر وصول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، والفرحة العارمة لمحبيه وتابعيه من الأنصار الذين كانوا يخرجون كل يوم لانتظاره مع حر الشمس، وكان عدد من استقبلوا النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة. [فتح الباري: ٧/٢٥١].

وقد بلغت هذه الفرحة أشدها حتى قال البراء بن عازب رضي الله عنه: «ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعل الإماء يقلن: قدم رسول الله». [البخاري ٧/٢٦٠ ح: ٣٩٢٤].

وصار الناس يهتفون: «جاء نبي الله، جاء نبي الله». [صحيح البخاري: ح٣٩١١- ٧/٢٥٠].

فائدة: تواضعه صلى الله عليه وسلم

لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجرته هذا لبس ثيابًا مميزة لما أنكر عليه أحد؛ لأن الناس قديمًا يعرفون ولا ينكرون تميز الرؤساء في الأقوام عن غيرهم بلباس مميز، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر بلباسه العادية التي لا تتميز عن الناس في شيء، حتى إن الناس لم يستطيعوا معرفته من أبي بكر ممن لم يكونوا رأوه من قبل، فكانوا يظنون أن أبا بكر هو الرسول صلى الله عليه وسلم بكبره واشتعال الشيب في شعره، فلما وجدوه يظلل على النبي صلى الله عليه وسلم من حرّ الشمس عرفوا الرسول صلى الله عليه وسلم، فالرسول صلى الله عليه وسلم يعطي الدرس

لأمته عامة، وللدعاة خاصة، لكي يتحروا مواضع التواضع، فإن ذلك أحرى لقبولهم وقبول دعوتهم. وهذا يُقال لمن يستعلي على العباد على أنه داعية وهم دون ذلك، ظنًا منه أنه غيور على دين الله وحريص عليه، ودءوبٌ على الدعوة ومتفرغ لها، فيتهكم على الناس ولا يدعوهم ولا يترفق بهم، وإذا انتقد أفعالهم انتقدها بسخرية وأسلوب منفر يصدّ عن السبيل، وبخُلق شائن يصرف الناس عن قبول الدليل.

أهمية المسجد في الإسلام

ومما نال العناية البالغة من الرسول صلى الله عليه وسلم حال وصوله المدينة إسراعه في بناء المساجد، فبنى مسجد قباء في قرية بني عمرو بن عوف، ذلك المسجد الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز بقوله: «لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ» [التوبة: ١٠٨]، وهذا المسجد يعد أول مسجد بني في الإسلام.

ولما أوغل صلى الله عليه وسلم إلى داخل المدينة أسس مسجده المعروف الآن بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وكل هذا لبيان أهمية المساجد في الإسلام، وأنها الشعار والرمز والمَعْلَمُ الأول في الإسلام.

ثم شارك رسول الله صلى الله عليه وسلم في بناء مسجده مع أصحابه الكرام، وقد كانوا جميعًا حريصين أن يفدوه بأنفسهم وأرواحهم، ويقومون مقامه في أداء تلك الأعمال، لكنه صلى الله عليه وسلم حرص على أن يشارك في الأعمال الخيرية الصالحة، وبهذا ضرب مثلاً عاليًا لأمته في التواضع، ونزول القادة إلى ميادين العمل والحرص على ثواب الآخرة، ومشاركة الناس في الأعمال العامة؛ لأن هذا كله يُشعر الناسَ بالرحمة والتواضع، فيزيد من همهم وحبهم لإمامهم والدعاء له، وقد ظهر هذا جليًا في إنشادهم وهم يقولون:

لئن قعدنا والنبيُّ يعملُ
فذاك منا العملُ المضلَّلُ

ويقولون أيضًا:

لا يستوي من يعمر المساجدَ
يدأب فيها قائمًا وقاعدًا
ومن يُرى عن التراب حائرًا

ومن صور هذا التنافس العظيم في العمل الصالح ما أخرجه الإمام أحمد رحمه الله بإسناده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد، فجعلنا ننقل لبنة لبنة، وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين، فتترب رأسه، قال: فحدثني أصحابي ولم أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جعل ينفض رأسه ويقول: «ويحك يا ابن سمية، تقتلك الفئة الباغية». [مسند أحمد بن حنبل ٣/٥]. وهذا من دلائل النبوة، فقد قُتل عمار في الفتنة التي كانت في عهد علي رضي الله عنه.

حكمة الله في اختبار النبي وبلائه صلى الله عليه وسلم:

قد يقول قائل: لماذا يتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل هذه المخاطر والمشاق والمواقف المخيفة، والله تعالى قادر على أن يحمله إلى المدينة في لمح البصر؟

والجواب: إن الله تعالى قادر حقًا- وهو القادر على كل شيء- أن يحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على البراق الذي حمله ليلة الإسراء، بل على ما هو أعظم منه وأسرع، لكن الله تعالى جعل نبيه صلى الله عليه وسلم قدوةً للناس وأسوة عظمى لهم، فلذا شرع له فعل الأسباب التي فعلها الناس عادة، ولو تمت الهجرة بخارق للعادة لم تحصل تلك المواقف العالية والعِبَر العظيمة التي استفدناها من هذه الهجرة المباركة، ولم تكن تلك الدروس العالية التي تم بها إسلام من أسلم وظلت دروسًا خالدة مع الزمن تقوّي الإيمان وتبعث الثقة واليقين.

وإن أحداث الهجرة من أولها إلى آخرها دليل على قوة توكل النبي صلى الله عليه وسلم على ربه جل وعلا، فحينما خرج من بيته وحده لم يخف مكر المشركين فكان ذلك منه قوة يقين، وصدق توكل على ربه ومولاه، وحينما شعر أبو بكر رضي الله عنه بالمشركين حول الغار بكى خوفًا وحزنًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أجابه بلغة الواثق بربه المتوكل عليه توكلاً كاملاً: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا، وخلد الله تعالى ذكر هذا المشهد في كتابه الكريم بقوله: «إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ

مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [التوبة: ٤٠].

وكذلك حينما لحق سراقة رضي الله بهم كان النبي صلى الله عليه وسلم ثابت القلب رابط الجأش، لا يبدو عليه إلا التوكل التام على الله عز وجل، وقد كانت مدة إقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يُوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين». [صحيح البخاري، مناقب الأنصار، ح رقم: ٣٩٠٢].

قبل المغادرة: ماذا بقي لنا من الهجرة؟

إن كانت هذه هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة إلى المدينة لإعلاء كلمة الله ورفع رايته، وقد أثنى الله تعالى عليهم في كل ذلك في قوله جل وعلا: «لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ» [الحشر: ١٠].

فماذا بقي لنا من الهجرة؟

يقول سيد البشر صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه عنه الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في بيان أن الهجرة لا تقف فقط عند الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام، وإنما للهجرة معنى واسع يلزم كل مسلم حتى يلقى ربه سبحانه؛ وهو هجران المعاصي والذنوب وترك ما نهى الله عنه.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ" (صحيح البخاري ١/١١).

(المسلم) أي الكامل الإسلام. و(المهاجر) أي الحقيقي اسم فاعل من الهجرة وهي في الأصل مفارقة الأهل والوطن في سبيل الله تعالى وأريد بها هنا ترك المعاصي.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: " وَيْحَكَ، إِنَّ الْهِجْرَةَ شَأْنُهَا شَدِيدٌ، فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ "، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: " أَلَسْتَ تُؤَدِّي صَدَقَتَهَا؟ "، قَالَ: بَلَى، قَالَ: " أَلَسْتَ تَمْنَحُ مِنْهَا؟ "، قَالَ: بَلَى، قَالَ: " أَلَسْتَ تَحْلُبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا؟ "، قَالَ: بَلَى، قَالَ: " فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَتِرَكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا " (صحيح البخاري ٢/١١٧).

(الهجرة) إلى المدينة والإقامة بها. (ويحك) كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها. (إن شأنها شديد) لا يستطيع القيام بحقها إلا القليل. (فاعمل من وراء البحار) أي إذا كنت تؤدي فرض الله تعالى عليك في نفسك ومالك فلا يضرك مكان إقامتك مهما كان بعيدا. (يترك) ينقصك من عملك شيئًا].

وعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: زُرْتُ عَائِشَةَ، مَعَ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، فَسَأَلَهَا عَنِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَتْ: " لَا هِجْرَةَ الْيَوْمَ، كَانَ الْمُؤْمِنُ يَفِرُّ أَحَدُهُمْ بِدِينِهِ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخَافَةَ أَنْ يُفْتَنَ عَلَيْهِ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ، فَالْمُؤْمِنُ يَعْبُدُ رَبَّهُ حَيْثُ شَاءَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ " (صحيح البخاري ٥/٧٥).

وفي رواية عن ابن جُرَيْج قال سَمِعْتُ عَطَاءً يَقُولُ: ذَهَبْتُ مَعَ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَهِيَ مُجَاوِرَةٌ بِثَبِيرٍ، فَقَالَتْ: " لَنَا انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ مُنْذُ فَتَحَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ" (صحيح البخاري ٤/٧٦).

وعن مجاشع رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم أنا وأخي فقلت: بايعنا على الهجرة؟ فقال: مضت الهجرة لأهلها. فقلت علام تبايعنا؟ قال: على الإسلام والجهاد. (صحيح البخاري ٤/٥٠).

ومعنى: (مضت الهجرة): ثبت حكمها وانتهى لأهلها الذين هاجروا قبل الفتح.

فاللهم إن كانت الهجرة إلى المدينة قد انتهت ومضت بأجرها لأهلها المهاجرين رضي الله عنهم، فاكتب لنا الهجرة الباقية إلى أن نلقاك، وهي ترك المعاصي والذنوب، آمين، والحمد لله رب العالمين.



قصة إعراض المراضع عن النبي صلى الله عليه وسلم

الحلقة (١٦١)

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية حتى يقف القارئ الكريم على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، والقصة ذكرت في بعض مصادر الحديث الأصلية عند أهل السنة مما يحتم علينا تخريجها وتحقيقها.

أولا: المتن:

رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّه بن جَعْفَرِ بن أَبي طَالب، قَالَ: حَدَّثَتْنِي حَلِيمَةُ بنتُ أبي ذُؤَيْبٍ السَّعْدِيَّةُ، مِنْ سَعْد بن بَكْرِ بن هَوَازِنَ وَهِيَ أُمُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ وفَصَلَتْه، أَنَّهَا حَدَّثَتْ، قَالَتْ: أَصَابَتْنَا سَنَةٌ شَهْبَاءَ، فَلَمْ تُبْقِ لَنَا شَيْئًا، فَخَرَجْنَا في نسْوَة مِنْ بني سَعْد بن بَكْرٍ إلَى مَكَّةَ نَلْتَمسُ الرُّضَعَاءَ فلمَّا قدمْنَا مَكَّة لَمْ تَبْقَ منَّا امْرَأَةٌ إلا عُرِضَ عَلَيْهَا نَبِيُّ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَتَأْبَاهُ، وتَكْرَهُهُ، وَذَلكَ أَنَّهُ كَانَ لا أَبَ لَهُ، وَكَانَت الظُّؤرَاتُ إنَّمَا ترجو الْخَيْرَ مِنَ الآبَاء، وَكَانَت الْمَرْأَةُ تَقُولُ: مَا أَصْنَعُ بِهَذَا؟، مَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ بي أُمُّهُ فَيَكْرَهْنَهُ.

قَالَتْ: فَعُرِضَ عَلَيَّ فَأَبَيْتُهُ فَلَمْ تَبْقَ امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِي إلا وَجَدَتْ رَضيعًا، وَحَضَرَ انْصرافُهُنَّ إلَى بِلادهنَّ، فَخَشِيتُ أَنْ أَرْجِعَ بغَيْرِ رَضيعٍ، فَقُلْتُ لزَوْجي: لَوْ أَخَذْتُ ذَاكَ الْغُلامَ الْيَتيمَ كَانَ أَمْثَلَ منْ أَنْ أَرْجعَ بغَيْرِ رَضيعٍ، فَجِئْتُ إلَى أُمِّه فَأَخَذْتُهُ وَجِئْتُ به إلَى مَنْزِلِي، وَكَانَ لِي ابْنٌ أُرْضعُهُ وَكَانَ يَسْهَرُ كثيرًا منَ اللَّيْلِ جُوعًا مَا يَنَامُ، فَلَمَّا أَلْقَيْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ عَلَى ثَدْيَيَّ أَقْبَلا عَلَيْه بمَا شَاءَ منَ اللَّبَن حَتَّى رَوَى وَرَوَى أَخُوهُ وَنَامَ.

وَقَامَ زَوْجِي فِي جَوْفِ اللَّيْلِ إلَى شَارِف مَعَنَا وَاللَّه يَأبَى أَنْ يَبِضَّ بقَطْرَة، قَالَتْ: فَوَقَعَتْ يَدُهُ عَلَى ضَرْعِهَا فَإذَا هُوَ حَافلٌ مِحْلَبٌ، فَجَاءَني، فَقَالَ: يَا ابْنَةَ وَهْبٍ وَاللَّه إنِّي لأَحْسَبُ هَذه النَّسَمَةَ مُبَارَكَةً ثُمَّ أَخْبَرَنِي خَبَرَ الشَّارِف، فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَ مَا رَأَيْتُ منْ ثَدْيَيَّ تلْكَ اللَّيْلَة.

فَخَرَجْنَا عَلَى أَتَانٍ لَنَا كَانَتْ قَبْلَ ذَلكَ مَا يَلْحَقُ الْحُمُرَ ضَعْفًا، فَلَمَّا صرْنَا عَلَيْهَا مُتَوَجِّهِينَ إلَى بلادنَا كَانَتْ تَقْدُمُ الْقَوْمَ حَتَّى يَصحْنَ بي وَيْحَك يَا ابْنَةَ أَبِي ذُؤَيْبٍ قُطعْت منَّا إنَّ لأتانك هَذه لشَأْنًا، قَالَتْ: فَقَدمْنَا به بلادَ بني سَعْد بن بَكْرٍ لا نَتَعَرَّفُ إلا الْبَرَكَةَ حَتَّى إنْ كَانَ رَاعينَا ليَذْهَبُ بغَنَمنا فيَرْعاها، وَيَبْعَثُ قَوْمُنَا بأغنامهمْ فَإذَا كَانَ عنْدَ اللَّيْلِ رَاحُوا فَتَجِيءُ أَغْنَامُنَا بحُفَّلانٍ مَا منْ أَغْنَامهمْ شَاةٌ تَبِضُّ

بِقَطْرَةٍ فَيَقُولُونَ لِرُعْيانِهِمْ: وَيْلَكُم ارْعَوْا حَيْثُ يَرْعَى رَاعِي بِنتِ أَبِي ذُؤَيْب..». اهـ.

ثانيًا: غريب ألفاظ هذا الخبر

تنبيه: نحن عندما نبين غريب ألفاظ هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة نُبيِّنه للاستفادة اللغوية فقط. فلا يتوهم من هذا البيان صحة هذا الخبر المنكر الذي سنبين علته بالتخريج والتحقيق.

١- قولها: «سنة شهباء».

قال ابن منظور في «لسان العرب» (٥٠٩/١): «وفي حديث حليمة: خرجت في سَنَة شهباء أي: ذات قحط وَجَدْب، والشهباء الأرض البيضاء التي لا خضرة فيها لقلة المطر، من الشهبة وهي البياض فسميت سنة الجدب بها». اهـ.

٢- قولها: «فتأباه». قال المُقري الفيومي صاحب «المصباح المنير» (ص٣): «أَبى الرجل (يأبى) إباءً بالكسر والمد، و(إباءَةً): امتنع». اهـ. يتبين ذلك من قول ابن منظور في «لسان العرب» (٤/١٤): «أَبَى الشيءَ يأباه إباءً وإباءَةً: كَرِهَه». اهـ.

٣- قولها: «الظؤرات» في جملة: «إنه كان لا أب له وكانت الظؤرات إنما يرجون الخير من الآباء».

قال ابن منظور في «لسان العرب» (٥١٥/٤): «الظِّئْر»: المرضعة غير ولدها. ثم قال: «الظُّؤرة» المرضعة.

قلت: بهمزة ساكنة ويجوز تخفيفها: أي الناقة تعطف على ولد غيرها، ومنه قيل للمرأة الأجنبية تحضن ولد غيرها: «ظئر» وللرجل الحاضن (ظِئر). اهـ.

وبهذا يتبين أن «الظؤرات» أي المرضعات لغير أولادهن.

٤- «الشارف»: أي الناقة التي قد أسنت، ولا يقال للجمل شارف. «لسان العرب» (١٧٣/٩).

٥- قولها: «حافل» في جملة: «فوقعت يده على ضرعها فإذا هو حافل محلب»: أي كثير اللبن. ذكر مجمع اللغة العربية في «المعجم الوجيز» ص(١٦١)، ط وزارة التربية والتعليم، «حَفَل» اللبن في الضرع حفولا: اجتمع. اهـ.

ثالثًا: التخريج

١- الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٤٠٠/٢١٢/٢٤) قال: حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا ابن الأصبهان حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحازي (ح)، وحدثنا مسلم الكشي، حدثنا أبو عمر الضرير حدثنا زياد بن عبد الله البكائي (ح)، وحدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا مسروق بن المرزبان الكندي حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة- كلهم- عن محمد بن إسحاق عن جهم بن أبي الجهم مولى الحارث بن حاطب عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: حدثتني حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية به.

قلت: ولفظ هذا المتن للحافظ الطبراني.

وحتى تستبين العلة لا بد من جمع الطرق الأخرى لهذا الخبر فقد ذكر ابن الصلاح في «علوم الحديث» (ص١٩٥) ط دار الكتب، عن عليِّ بن المديني قال: «الباب إذا لم تجمع طرقه، لم يتبين خطؤه»، وكذلك ذكره السيوطي في «تدريب الراوي» (٢٥٣/١)، والصغاني في «توضيح الأفكار» (٢٩/٢).

٢- وأخرجه الحافظ أبو يعلى في «مسنده» (٩٣/١٣) (ح٧١٦٣) قال: حدثنا مسروق بن المرزبان الكوفي، والحسن بن حماد ونسخته من حديث مسروق حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، حدثنا محمد بن إسحاق، عن جهم بن أبي جهم عن عبد الله بن جعفر عن حليمة بنت الحارث السعدية به.

٣- وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» (ح٢٠٩٤- موارد) قال: أنبأنا أحمد بن علي بن المثنى، حدثنا مسروق بن المرزبان، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن محمد بن إسحاق عن جهضم بن أبي جهضم عن عبد الله بن جعفر عن حليمة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم السعدية التي أرضعته به.

٤- وأخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص٤٦) قال: حدثنا سليمان بن أحمد قال: حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي (ح).

وحدثنا محمد بن أحمد بن الحسن قال حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا مسروق بن المرزبان حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة.

قالا: حدثنا محمد بن إسحاق عن جهم بن أبي الجهم عن عبد الله بن جعفر عن حليمة بن الحارث السعدية أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته به.

٥- وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٣٢/١) قال: وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: حدثنا أبو العباس قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال: حدثنا يونس بن بكير قال: حدثنا ابن إسحاق، قال: حدثني جهضم بن أبي جهم مولى لامرأة من بني تميم كانت عند الحارث بن حاطب فكان يقال: مولى الحارث بن حاطب حدثني من سمع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، يقول حدثت عن حليمة بنت الحارث أم رسول الله الذي أرضعته به.

رابعًا: التحقيق

قلت: بالبحث في طرق الحديث الذي أوردناها آنفًا يتبين:

١- انفراد محمد بن إسحاق عن جهم بن أبي الجهم عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

٢- وقع تصحيف لاسم الراوي (جهم بن أبي الجهم) في رواية ابن حبان حيث تصحف إلى «جهضم بن أبي جهضم».

يظهر هذا التصحيف من مخالفته لجميع الروايات، خاصة مخالفة الحافظ ابن حبان لشيخه الإمام الحافظ أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى، فقد رواه ابن حبان عنه، وكما بينا آنفًا أن الحافظ أبا يعلى أخرج الخبر في «مسنده» (٩٣/١٣) ح(٧/٦٣) من طريق جهم بن أبي جهم.

وقد يحسب البعض أن هذا أمر هيّن، ولكنه أمر عظيم، فيتوهم أن الواحد اثنين، بل ويتوهم من الاسم المصحف أنه متابع.

٣- اشتهر هذا الخبر الذي انفرد به محمد بن إسحاق فرواه عنه:

أ- عبد الرحمن بن محمد المحاربي عند الحافظ الطبراني سليمان بن أحمد في «المعجم الكبير» ورواه عنه بنفس الإسناد تلميذه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في «دلائل النبوة».

ب- وزيادة ابن عبد الله البكائي عند الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير».

جـ- ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة: عند الطبراني في «المعجم الكبير» وأبي يعلى في «مسنده»، وابن حبان في «صحيحه»، وأبي نعيم في «دلائل النبوة».

د- ويونس بن بكير: عند الحافظ البيهقي في «دلائل النبوة».

وبجمع هذه الطرق تتبين علل هذا الخبر الذي جاءت به القصة.

١- ففي رواية عبد الرحمن بن محمد المحاربي، ورواية زياد بن عبد الله البكائي، ورواية يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عنعنة ابن إسحاق.

٢- وفي رواية يونس بن بكير تصريح ابن إسحاق التحديث، مع تصريح جهم بن أبي الجهم بأنه لم يسمعه من عبد الله بن جعفر، وتصريح عبد الله بن جعفر بأنه لم يسمعه من حليمة.

٣- فعلى رواية عبد الرحمن بن محمد المحاربي، ورواية زياد بن عبد الله البكائي، ورواية يحيى بن زكريا بن أبي زائدة فيه انقطاع بين إسحاق وبين الجهم؛ لأن ابن إسحاق مشهور بالتدليس؛ لذلك ذكره الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» في المرتبة الرابعة (٩) قال: «محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني صاحب المغازي مشهور بالتدليس في الضعفاء والمجهولين وعن شر منهم.

٤- قد يتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن هناك تصريحًا بالتحديث، وردًا على هذا الوهم أنه لم يكن عند أحد من هؤلاء الثلاثة الذين رووه عن ابن إسحاق، تصريح لابن إسحاق بالتحديث في أي موضع وقد تعددت المواضع كما بيناه آنفًا عند الطبراني في «المعجم الكبير» وأبي يعلى في «مسنده»، وابن حبان في «صحيحه»، وأبي نعيم في «دلائل النبوة».

٥- من هذا يتبين أن هناك اختلافًا بين هؤلاء الثلاثة الذين رووه بالانقطاع، وبين يونس بن بكير الذي رواه بالاتصال.

ومن هنا لا بد من الموازنة بين ضبطهم وإتقانهم.

قال الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (ص٧٠٥): «والسبيل إلى معرفة علة الحديث أن يُجمع بين طرقه، وينظر في اختلاف رواته ويعتبر بمكانهم من الحفظ ومنزلتهم في الإتقان والضبط». اهـ.

وبتطبيق هذه القاعدة الذهبية يتبين أن:

أ- جمع طرق الحديث قد بيناه.

ب- والنظر في اختلاف رواته أيضًا بيّناه.

جـ- أما عن الموازنة بين ضبطهم ونقلهم:

فيونس بن بكير. ذكره الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٣٨٤/٢) قال: «يونس بن بكير بن واصل الشيباني أبو بكر الجمال الكوفي يخطئ». اهـ.

فأين هو من الثلاثة: عبد الرحمن بن محمد المحاربي، وزيادة بن عبد الله البكائي، ويحيى بن زكريا بن أبي زياد، وفوق الترجيح بالعدد على الانفراد، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٣٤٧/٢): «يحيى بن زكريا بن أبي زائدة الهمداني ثقة متقن». اهـ.

قلت: وبهذا يترجح الانقطاع بعنعنة ابن إسحاق المشهور بالتدليس عند الضعفاء والمجهولين وعن شر فيهم، ولا يؤخذ بمخالفة يونس بن بكير للثقات الأثبات في ابن إسحاق بالنسبة للإسناد، بل وكذلك للمتون يتبين ذلك مما ذكره الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٥٢٩/٢٠): «وقال أبو عُبيد الآجريّ عن أبي داود: ليس يونس بن بكير عندي حجة، يأخذ كلام ابن إسحاق فيوصله بالأحاديث». اهـ.

٦- ومع اشتهار محمد بن إسحاق بالتدليس فقد وهَّاه كثير من أئمة الجرح والتعديل:

أ- قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٧١٩٧/٤٦٨/٣): محمد بن إسحاق بن يسار قد حشا في السيرة الأشياء المنكرة المقطعة والأشعار المكذوبة، ثم ذكر أقوال الأئمة.

ب- قال الفلاسي: سمعت يحيى القطان يقول لعبيد

الله القواريري: إلى أين تذهب؟ وهب بن جرير أكتب السيرة، قال: تكتب كذبًا كثيرًا.

جـ- وقال الدارقطني: لا يُحتج بمحمد بن إسحاق.

د- وقال سليمان التيمي: كذاب.

م- وقال وهيب سمعت هشام بن عروة يقول: كذاب.

ن- وقال أبو بكر الخطيب: روى أن ابن إسحاق كان يدفع إلى شعراء وقته أخبار المغازي ويسألهم أن يقولوا فيها الأشعار ليلحقها بها.

هـ- وقال أبو داود الطيالسي: حدثني بعض أصحابنا، قال: سمعت ابن إسحاق يقول: حدثني الثقة، فقيل له: مَن؟ قال: يعقوب اليهودي.

و- وروى عن حميد بن حبيب أنه رأى ابن إسحاق مجلودًا في القدر جلده إبراهيم بن هشام الأمير.

قلت: ويونس بن بكير الذي روى عن ابن إسحاق قصة إعراض المراضع عن النبي صلى الله عليه وسلم ليتمه، هو الذي روى هذا الخبر الذي جعله الذهبي من مناكير ابن إسحاق؛ حيث قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن عبد الرحمن بن الحارث عن عبد الله بن أبي سلمة عن ابن عمر أنه بعث إلى ابن عباس يسأله: هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه؟

فبعث إليه أن نعم، رآه على كرسي من ذهب يحمله أربعة من الملائكة: ملك في صورة رجل، وملك في سورة أسد، وملك في صورة ثور، وملك في صورة نسر، في روضة خضراء دونه فراش من ذهب. اهـ.

ثم ذكر الذهبي قول مكي بن إبراهيم: «جلست إلى ابن إسحاق فذكر أحاديث في الصفة فنفرت منها فلم أعد إليه، روى أحاديث في صفة الله لم يحتملها قلبي». اهـ.

ي- قال الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٣٦/٩): محمد بن إسحاق بن يسار المدني نزيل العراق، ثم ذكر فيه قول الإمام مالك: «دجال من الدجاجلة»، ثم ذكر قول ابن نمير: «إذا حدث ابن إسحاق عن من سمع منه من المعروفين فهو حسن الحديث صدوق، وإنما أُتِيَ من أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة». اهـ.

قلت: وهذا القول يعتبر قاعدة ذهبية لا تأتي إلا من خبير بالصناعة الحديثية لذلك ذكره الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٣١١/٣٢٧/١) قال: «عبد الله بن نمير الحافظ الإمام والد الحافظ الكبير محمد، وثقه يحيى بن معين وغيره، وكان من أكابر أصحاب الحديث». اهـ.

وبتطبيق هذه القاعدة على هذا الخبر الذي انفرد به ابن إسحاق: نجد أنه ينطبق تمام الانطباق على الجزء الثاني من القاعدة، وهو: «إنما أتى من أنه يحدّث عن المجهولين أحاديث باطلة».

فطرق الخبر التي جمعناها تبين منها:

انفراد محمد بن إسحاق عن جهم بن أبي الجهم عن عبد الله بن جعفر عن حليمة السعدية، فهذا الخبر من رواية محمد بن إسحاق عن جهم بن أبي الجهم، وقد ذكره الحافظ الذهبي في «الميزان» (١٥٨٣/٤٢٦/١) قال: «جهم بن أبي الجهم عن ابن جعفر بن أبي طالب، وعنه محمد بن إسحاق لا يعرف، له قصة حليمة السعدية». اهـ.

قلت: وأقر هذا الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١٧٨/٢) (٢١٤١/٢٧٤) وقال: وقد روى عن جهم بن أبي الجهم أيضًا عبد الله العمري، والوليد بن عبد الله بن جميع. اهـ.

فهو مجهول الحال؛ حيث قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٥٠): «الراوي إن روى عنه اثنان فصاعدًا ولم يوثق فهو مجهول الحال». اهـ.

ثم بين حكم روايته فقال: «ردُّها الجمهور». اهـ.

من هذا يتبين أن الخبر الذي جاءت به هذه القصة قد رواه محمد بن إسحاق عن جهم بن أبي الجهم وهو مجهول لا يُعرف، وبهذا يتحقق قول الحافظ الإمام ابن نمير في محمد بن إسحاق: «إنما أُتِيَ من أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة».

قلت: بهذا يصبح هذا الخبر باطلاً.

٧- بعد بيان هذه العلل المستنبطة من جمع الطرق وتطبيق القاعدة تبين أن هذا الخبر باطل، ومما يزيد في بطلان هذا الخبر رواية الإمام البيهقي؛ حيث أظهرت وقوع انقطاع في الإسناد في موضعين:

الأول: تصريح الجهم بأنه لم يسمعه من عبد الله بن جعفر، يتبين ذلك من قول الجهم: حدثني من سمع عبد الله بن جعفر.

الثاني: تصريح عبد الله بن جعفر بأنه لم يسمعه من حليمة، يتبين ذلك من قول عبد الله بن جعفر: «حُدثت عن حليمة السعدية»، بصيغة المبني للمجهول.

قلت: وهذا النوع الذي لم يُصرَّح فيه باسم الراوي في الحديث يُسمَّى «المبهم» وحكمه الرد

وبهذا يتبين أن خبر القصة باطل، والقصة واهية. هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

المذهب الوسطي لأبي الحسن الأشعري في توحيد الصفات

مصادر التلقي عند أبي الحسن الأشعري

الحلقة السادسة عشرة

إعداد/ أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فمن الأمور المفادة مما سبق عن الحديث عن مصادر التلقي لدى أبي الحسن الأشعري بعد اعتماده – في إثبات الصفات – الآي والإجماع، وما صح من السنة ولو كانت آحاداً:

(تجنبه الأحاديث الضعيفة والموضوعة):

وإنما يفاد هذا من طريقة توجهه لإثبات صفات الخالق – سبحانه – واقتصاره في ذلك على آي التنزيل وروايات الأئمة الثقات للأحاديث والآثار الصحيحة، سواء ما تواتر منها أو ما جاء منها بطريق الآحاد، وذلك قوله في (مقالات الإسلاميين) ص ٢٩٠ في (قول أصحاب الحديث وأهل السنة): «جملة ما عليه أهل الحديث والسنة، الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاء عن الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يردّون من ذلك شيئاً.. وأن الله على عرشه كما قال، وأن له يدين بلا كيف كما قال"، وقوله في (الإبانة) ص ٤٩ بحق أهل الزيغ والضلالة: إنهم "نفوا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا) وغير ذلك مما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم».

فبمفهوم المخالفة – الذي يعني: ثبوت الحكم المقيد بوصف أو شرط، أومحدد بغاية أو عدد، وانتفاؤه إذا انتفى القيد – يأتي رفض الأشعري الأخذ بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، وعدم اعتماده هذا الطريق ضمن مصادر تلقيه.

والحق أن المتعصبين من متأخري الأشاعرة في كل زمان وبخاصة في أزماننا، يستغلون ما ضَعُف أو وُضِع من الأحاديث أسوأ استغلال في ترويج مذهبهم في حتمية التأويل، والترويج لدعاوى التشبيه والتجسيم، وإحالة حمل الصفات على ظاهر معناها.. وقد يورد أحدهم في ذلك، الضعيف أو الموضوع من الحديث أو الأثر وهو على علم بهما؛ لأن فيه ما يشهد له في الآيات والأحاديث الأخرى، أو لينتصر لرأيه الفاسد في ضرورة التأويل.. كما فعل بعضهم في (حديث الجارية)، وهو من طريق (معاوية بن الحكم)، وفيه قوله عليه السلام لها: أين الله؟، قالت في السماء.. قال: (اعتقها فإنها مؤمنة)، وهو حديث صحيح أخرجه مسلم وغير واحد من الأئمة في تصانيفهم، غير أن ثمة رواية ضعيفة للحديث انفرد بها عطاء بن يسار وفيها: (فمد النبي صلى الله عليه وسلم يده إليها مستفهماً، مَن في السماء؟!).. فقد ساقها من ساقها ليعضد ما صح من الرواية، أو ليصل إلى نتيجة: أن "هذا، من الدليل على أن (أين الله؟)، لم يكن لفظ الرسول!".. وكما فعل البعض الآخر في قول المروذي: "(سمعت أبا عبد الله الخفاف، سمعت ابن مصعب)، وتلا «عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً»(الإسراء/٧٩)، قال: (نعم يُقعده – معه – على العرش)"، فهذا الأثر "مع مخالفته لما في الصحيحين وغيرهما من أن (المقام المحمود): (الشفاعة العظمى)، فهو تفسير مقطوع غير مرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولو صح ذلك مرسلاً لم يكن فيه حجة – يعني: لكون المرسل عند المحدثين من أقسام الضعيف – فكيف وهو مقطوع موقوف على بعض التابعين؟!"، وكيف تبنى على مثل هذا عقيدة أو تثبت به فضيلة؟! [ينظر على الترتيب: مختصر العلو للألباني ص ٨٢، ٢٣٤].

نماذج مما اشتهر جعلها من الصفات وهي –

لضعفها أو وضعها - ليست كذلك:

وأنا ذاكر لك هنا بعض هذه الأحاديث والآثار الضعيفة أو الموضوعة فيما اشتهر في صفات الله، لتكون منها على حذر فلا تقع فيما وقع فيه القوم:

١- أحاديث وآثار (إقعاده صلى الله عليه وسلم معه على العرش): ومنها الأثر السابق ذكره.. فقد علق الذهبي عليه في العلو ص ١٢٥، بقول المروذي: "أما قضية قعود نبينا على العرش فلم يثبت في ذلك نص، بل في الباب حديث واهٍ"، مشيراً بذلك إلى حديث: (يجلسني على العرش)، وهو "باطل، ذكره الذهبي في (العلو) من طريقين عن أحمد بن يونس عن سلمة الأحمر عن أشعث بن طليق عن ابن مسعود، قال: (بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأ عليه حتى بلغت: «عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً» قال:.. فذكره)، وقال الذهبي ص ٧٥ من نفس المصدر: (هذا حديث منكر لا يُفرَح به، وسلمة هذا متروك الحديث، وأشعث لم يلحق ابن مسعود)، قلت - أي: الألباني -: (قد وجدت له طريقاً أخرى موصولاً عن ابن مسعود مرفوعاً نحوه، ولا يصح أيضاً)، ثم ذكر الذهبي نحوه عن عبد الله بن سلام موقوفاً عليه، وقال: (هذا موقوف ولا يثبت إسناده.. وإنما هذا شيء قاله مجاهد)، ثم رواه من طريق ليث عن مجاهد نحو حديث ابن مسعود موقوفاً على مجاهد، وكذلك رواه الخلال في (أصحاب ابن مندة)، ثم قال في ص ٩٤: (لهذا القول طرق خمسة، وأخرجه ابن جرير في تفسيره وعمل فيه المروذي مصنفاً!)، ثم رواه من طريق عمر بن مدرك الرازي عن ابن عباس موقوفاً مثله.

وقال ص ٩٩: (إسناده ساقط، وعمر هذا متروك.. وهذا مشهور من قول مجاهد، ويروى مرفوعاً، وهو باطل).

قلت - أي: الألباني -: ومما يدل على ذلك، أنه ثبت في الصحاح أن المقام المحمود هو: الشفاعة الخاصة بنبينا صلى الله عليه وسلم، ومن العجائب أن يفتي بعض العلماء من المتقدمين بأثر مجاهد هذا كما ذكره الذهبي عن غير واحد منهم، بل غلا بعض المحدثين فقال: (أنا منكر على كل من رد هذا الحديث، وهو عندي رجل سوء متهم)، قال الذهبي: (فأبصرْ - حفظك الله من الهوى - كيف آل الغلو بهؤلاء إلى وجوب الأخذ بأثر منكر، واليوم يردون الأحاديث الصريحة في العلو، بل يحاول بعض الطغام أن يرد قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى»(طه/٥)، قلت - أي: الألباني -: (وإن مثل هذا الغلو لما يحمل نفاة الصفات على التشبث بالاستمرار في نفيها، والطعن بأهل السنة المثبتين لها ورميهم بالتشبيه والتجسيم، ودين الله الحق بين الغالي فيه والجافي عنه، فرحم الله امرأ آمن بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصفات وغيرها على الحقيقة اللائقة بالله تعالى، ولم يقبل في ذلك ما لم يصح عنه صلى الله عليه وسلم كهذا الحديث، فضلاً عن مثل هذا الأثر)"..

واختتم الألباني كلامه هذا بقوله: "فاعلم أن إقعاده صلى الله عليه وسلم على العرش: ليس فيه إلا هذا الحديث الباطل، وأما قعوده تعالى على العرش: فليس فيه حديث يصح، ولا تلازم بينه وبين الاستواء عليه كما لا يخفى"[الضعيفة بتصرف ٢/٢٥٥، ٢٥٦، وينظر ١٣/١٠٤٣: ١٠٤٩/٢ منها ومختصر العلو ص ١٥، ١١٧، ٢٨٣].

كذا بما يعني أن نسبة القعود إلى الله تعالى وإقعاده النبي صلى الله عليه وسلم على عرشه غير صحيح بل هو منكر، كما أن معناه ولفظه لم يتوارد على ألسنة الأئمة.. وما قيل هنا يقال مثله في رواية ابن عمر: (يجلسني على السرير)، فهو أيضاً باطل، وحسبنا مخالفته لأحاديث جمع من الصحابة بعضها في البخاري (٤٧١٨): أن المقام المحمود، هي: شفاعته صلى الله عليه وسلم الكبرى يوم القيامة.

٢- أحاديث (الأطيط): ومنها حديث: (إن كرسيه وسع السماوات والأرض، وإنه يقعد عليه ما يفضل منه مقدار أربع أصابع - ثم قال بأصابعه فجمعها - وإن له أطيطاً كأطيط الرَّحل الجديد إذا رُكب، من ثقله)، والأطيط: صوت الرَّحل إذا كان عليه الرُّكب الثقيل كما في النهاية٥٤/١، يقول الذهبي في العلو ص ٨٤ وهو في مختصر الألباني ص ١٢٤: "وليس للأطيط مدخل في الصفات أبداً.. ومعاذ الله أن نعده صفة لله عز وجل، ثم الأطيط لم يأت به نص ثابت"ا.هـ .

وأيضاً فالحديث المذكور فيه معنى باطل، وهو أن الرب ما عُرفت عظمته إلا بالمقايسة بالعرش المخلوق، كما يقضي بأن العرش أعظم من الرب وأكبر، وهذا فاسد مخالف لما عُلم من الكتاب والسنة والعقل، على ما أفاده ابن تيمية في المجموع ٤٣٥/١٦ وما بعدها.. كما أنه حديث منكر، رواه أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني في فتيا له حول الصفات من طريق الطبراني عن عبيد الله بن أبي زياد القَطواني: (ثنا يحيى بن أبي بكير: ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبيد الله بن خليفة عن عمر بن الخطاب قال: أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة، فعظَّم الرب عز وجل، ثم قال:.. فذكره).

وهذا الحديث لا يصح لأن مداره على ابن إسحاق وكان قد اختلط.. وكذلك أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ص ٢١، لكنه زاد في متنه أداة الاستثناء فقال: (إلا قيد أربع أصابع) فاختلف المعنى..

كما رواه أبو محمد الدَّشتي في كتاب (إثبات الحد) من طريق الطبراني وغيره عن ابن أبي بكير به، ولكنه قال: (هذا حديث صحيح، رواته على شرط البخاري ومسلم)، كذا قال، وهو خطأ مزدوج، فليس الحديث بصحيح، ولا رواته على شرطهما، فإن عبد الله بن خليفة لم يوثقه غير ابن حبان، وتوثيقه لا يعتد به، ولذلك قال الذهبي في الميزان ٤٢٩٠ عن ابن خليفة هذا: (لا يُكاد يُعرف).. فأنى بالحديث بالصحة وفيه ثلاث علل: جهالة ابن خليفة، واختلاط أبي إسحاق، وكونه مدلساً، والاضطراب في سنده ومتنه؟!، قال ابن الجوزي في (العلل المتناهية في الأحاديث الواهية) ٢١/١: (هذا حديث لا يصح عنه صلى الله عليه وسلم وإسناده مضطرب جداً، وعبد الله بن خليفة ليس من الصحابة - فيكون الحديث مرسلاً - تارة يرويه ابن خليفة عن عمر مرفوعاً، وتارة يُوقِفُه على عمر، وتارة يُوقَف على ابن خليفة، وتارة يأتي: فما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع، وتارة يأتي: فما يفضل منه مقدار، وكل هذا تخليط من الرواة فلا يعول عليه).

ومثله حديث ابن إسحاق في (المسند) وغيره، وفي آخره: (إن عرشه لعلى سماواته وأرضه، هكذا مثل القبة، وإنه ليئطّ به أطيط الرَّحل بالراكب)، فابن إسحاق مدلس، ولم يصرح بالسماع في شيء من الطرق عنه، ولذلك قال الذهبي في العلو ص٣٩: (هذا حديث غريب جداً فَرد، وابن إسحاق حجة في المغازي إذا أسند، وله مناكير وعجائب.. وأما الله عز وجل: فليس كمثله شيء جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا إله غيره) [ينظر مع ما ذكر: الضعيفة ٢٥٧/٢، ٧٢٨/١٠: ٢/٧٣٠، ٧٢٢/١٣: ٢/٧٢٤].

٣- حديث استلقائه سبحانه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -: ونصه: (إن الله لما قضى خلقه استلقى، ووضع إحدى رجليه على الأخرى، وقال: لا ينبغي لأحد من خلقه أن يفعل هذا)، وهو حديث منكر جداً، رواه أبو نصر الغازي من طرق عن إبراهيم بن المنذر الحزامي: ثنا محمد بن فليح بن سليمان عن أبيه عن سعيد بن الحارث عن عبيد بن حنين قال: (بينا أنا جالس، إذ جاءني قتادة بن النعمان t فقال: انطلق بنا يا ابن حنين إلى أبي سعيد الخدري فإني قد أخبرت أنه قد اشتكى، فانطلقا حتى دخلنا على أبي سعيد، فوجدناه مستلقياً رافعاً رجله اليمنى على اليسرى، فسلمنا وجلسنا، فرفع قتادة يده إلى رجل أبي سعيد فقرصها قرصة شديدة، فقال أبو سَعيد: سبحان الله يا ابن أم، أوجعتني! فقال له: ذلك أردت، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:.. فذكره)، وقد رواه عن قتادة - من غير ابن حنين - أبو الحباب سعيد بن يسار وبسر بن سعيد وعبيد بن عبد الله بن عتبة، كما رواه عن إبراهيم بن المنذر محمد بن إسحاق وجمع، وحدث به من الحفاظ جمع، ورُوي عن شداد بن أوس مرفوعاً.

ومع تنزهه تعالى عما تضمنه ذاك الحديث، فإنه يشتمّ منه رائحة اليهودية الذين يزعمون أن الله تعالى بعد أن فرغ من خلق السموات والأرض استراح!، وروايته عن كعب الأحبار يؤيد هذا.. وما ذكره أبو نصر من أن الحديث روي عن ابن عباس وابن مسعود وكعب بن عجرة موقوفاً، وأن بعض الرواة وهم فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقوله: (إن رواة طريق قتادة من رجال الصحيح)، يَردُ عليه: أنه لا يلزم من ذلك أن يكون سند الحديث صَحيحاً، لجواز أن يكون فيه من تُكلم فيه.. كما أن ابن فليح بن سليمان وكذا ابنه محمد فيهما ضعف، قال ابن معين: (فليح ليس بثقة ولا ابنه)، وكذلك ضعفه ابن المديني والنسائي والساجي وقالوا: (يهم)، ولذلك لم يسع الحافظ في التقريب إلا الاعتراف بضعفه قائلاً: (صدوق كثير الخطأ).. وإن مما يدل على ضعفهما وضعف حديثهما اضطرابهما في إسناده، فتارة يقولان: عن سعيد بن الحارث عن ابن حنين عن قتادة، وتارة: عن سالم أبي النضر بدل سعيد، ويقرن مع ابن حنين بسر، وتارة يجعل مكانهما أبا الحباب.

ومما يوهن من شان هذا الحديث - من غير ما سبق - أنه صح (عن عباد بن تميم عن عمه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقياً في المسجد، واضعاً إحدى رجليه على الأخرى) رواه البخاري ٤٦٦/١، وفعل ذلك عمر وعثمان، فلو كان الاستلقاء المذكور لا ينبغي لأحد من خلقه سبحانه كما زَعم الحديث، لما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خلفاؤه من بعده.

وفيه علة أخرى، وهي أن قتادة مات في خلافة عمر، وابن حنين مات سنة خمس ومائة وله خمس وسبعون سنة، فتكون روايته عن قتادة منقطعة ا.هـ من الضعيفة ١٧٧/٢: ١٨٠ باختصار وينظر الأسماء والصفات للبيهقي ص ٥٠١.

٤- أحاديث الأوعال والإدلاء والهبوط على الله: ونص الأول: (هل تدرون ما بين السماء والأرض؟، إن

بُعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك حتى عدَّ سبع سماوات، ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعالٍ - ذكور الغزلان الجبلية - بين أظلافهم ورُكبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك).. وهو حديث ضعيف، أخرجه غير واحد عن الوليد بن أبي ثور، والترمذي وابن خزيمة في التوحيد عن عمرو بن أبي قيس، وأبو داود وعنه البيهقي عن إبراهيم بن طهمان ثلاثتهم عن سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب، قال: (كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمرت به سحابة فنظر إليها فقال: ما تسمون هذه؟، قالوا: السحاب، قال: والمزن؟ قالوا: والمزن، قال: والعنان؟، قالوا: والعنان، قال: هل تدرون.. وذكره).. وقد خالفهم في الإسناد والمتن شعيب بن خالد، كما أعلَّ الذهبي الحديث في العلو ص ٥٠ بعدم ثبوت عدالة عبد الله بن عمير، وقول الذهبي عقب الحديث: (تفرد به سماك بن حرب عن عبد الله، وعبد الله فيه جهالة)، قال في ترجمته من الميزان: (فيه جهالة، قال البخاري: لا يُعرف له سماع من الأحنف بن قيس)، والبخاري بقوله هذا يشير إلى جهالته، وصرح بهذا إبراهيم الحربي فقال: (لا أعرفه).. وعليه فذكر رواة الأئمة لهذا الحديث لا يفيد بعد كلام أهل النقد في بعض رجاله، وأنه تفرد به ابن عميرة، وتفرد سماك بالرواية عنه وقول حربي فيه: (لا أعرفه)، وإشارة مسلم إلى جهالته، وتصريح الذهبي بذلك [ينظر الضعيفة ٣٩٨/٣: ٤٠٢ والعلل المتناهية ٢٤/١، ٢٥].

وقريب من هذه الرواية، ما أخرجه الترمذي وأحمد والبيهقي في الأسماء والصفات وغيرهم، وفي آخرها: (والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم أحدكم بحبل إلى الأرض السابعة لهبط على الله تبارك وتعالى)، إذ ضعفه الترمذي نفسه بقوله: (حديث غريب)، "وعلته - كما في مختصر العلو ص ٢١٨ - أنه من رواية الحسن البصري عن أبي هريرة t، والحسن مدلس، وقد عنعنه على اختلاف العلماء في أصل سماعه من أبي هريرة"، وهو لم يره، وأكد ذلك ابن القيم في مختصر الصواعق ص ٤٩٨ من غير ما وجه، فإسناده إذن - على ما أفاده البيهقي ص ٥٥٤ وابن الجوزي في (العلل المتناهية) ٢٧/١ وغيرهما - ضعيف، لما بين الحسن وأبي هريرة من انقطاع وعدم سماع، فضلاً عن أن متنه غريب.. وبمثل هذا يقال في رواية: (ولو حفرتم لصاحبكم ثم دليتموه لوجدتم الله عز وجل)، فهو منكر كما نص عليه ابن الجوزي في العلل، فيه أحمد بن عبد الجبار العطاردي: ضعيف، وأبو نصر مجهول لا يعرف.. وهكذا.

وصفوة القول:

أن هذه الأحاديث وما جاء على شاكلتها مما هو ضعيف أو موضوع، اتفاق أهل العلم على عدم جواز الأخذ بها في العقائد وأصول العبادات والمعاملات، وأنها ساهمت بشكل كبير في التشكيك فيما صح من أحاديث الصفات، دون أن يتنبه لأثرها السيئ في الأمة وسلامة عقيدتها إلا القليل من أهل العلم، "لأنها - على حد ما جاء في مختصر العلو ص ١٣ - قد تفسد عقيدة بعض من لا علم عنده بالتوحيد ولوازمه، أو يتخذه بعض أهل الأهواء سلاحاً لترويج مذهبهم في التأويل وإحالة حمل الصفات على ظاهرها واللجوء من ثم إلى تفويض معانيها، وأيضاً لضرب الأحاديث الصحيحة بها ومحاربة أهل التوحيد أنفسهم، المثبتين لله تعالى كل صفة ثابتة في الكتاب أو السنة دون تمثيل أو تعطيل، واتهامه إياهم بالتشبيه والتجسيم مع علمه تصريح أهل التوحيد بوجوب تنزيه الله تعالى عن التشبيه والتعطيل معاً"..

وقد تنبه بهذا من قبل ابن تيمية - رحمه الله - حيث ذكر في مجموع الفتاوى ٩/٤: أن "المنازع لا بد أن يذكر فيما يخالف أهل الحديث، طرقا أخرى مثل المعقول والقياس والرأي"، قال: "فالذي يعيب بعض أهل الحديث وأهل الجماعة بحشو القول، إنما يعيبهم بقلة المعرفة أو بقلة الفهم، أما الأول: فبأن يحتجوا بأحاديث ضعيفة وموضوعة، أو بآثار لا تصلح للاحتجاج. وأما الثاني: فبأن لا يفهموا معنى الأحاديث الصحيحة، بل قد يقولون القولين المتناقضين، ولا يهتدون للخروج من ذلك.. ثم إنهم بهذا المنقول الضعيف، والمعقول السخيف قد يكفرون ويضللون ويبدِّعون أقواماً من أعيان الأمة ويجهلونهم"..

كما تنبه إليه تلميذه ابن القيم حين قال: إن "من تأمل ما تنازع فيه العقلاء في مسائل التوحيد والصفات ومسائل القدر والنبوات والمعاد، يجد أن صريح العقل لم يخالفه سمع قط، بل السمع الذي يخالفه إما أن يكون حديثاً موضوعاً، أو لا تكون دلالته مخالفة لما دل عليه العقل، ونحن نعلم قطعاً أن الرسل لا يخبرون بمحالات العقول"[مختصر الصواعق ص ١٠٧ بتصرف].

وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث عن ملامح وقواعد المنهج الوسطي لدى الأشعري في تعامله مع توحيد الصفات.



الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر

زوجة نبينا صلى الله عليه وسلم

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمدُ لله، حمداً طيباً مباركاً فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي بعثه اللهُ هادياً ومبشراً ونذيرًا، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد: فإن الصديقة عائشة أم المؤمنين، المبرأة من فوق سبع سماوات، من الشخصيات البارزة في تاريخ الإسلام. فأحببت أن أذكر نفسي وإخواني الكرام بشيء من سيرتها العطرة، وتاريخها المشرق المجيد، لعلنا نسير على ضوئه فنسعد في الدنيا والآخرة، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

نَسَب عائشة:

هي الصديقة بنت الصديق الأكبر، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، بن كعب بن لؤي، أم المؤمنين، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم. (سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ٢صـ ١٣٥).

أم عائشة:

هي أم رومان بنت عامر بن عويمر، بن عبد شمس، بن عَتَّاب بن أُذَيْنَة الكنانية. (سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ٢صـ ١٣٥).

كنية عائشة:

كانت عائشة تُكنى بأم عبد الله(ابن أختها أسماء: عبد الله بن الزبير) (الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٨صـ ٥٢).

مولد عائشة:

وُلِدَتْ عائشة بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بأربع سنين أو خمس، وكانت تقول: لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين. (الإصابة لابن حجر العسقلاني جـ ٤صـ ٣٤٨).

زواج عائشة بالنبي صلى الله عليه وسلم:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أُرِيتُكِ قَبْلَ أَنْ أَتَزَوَّجَكِ مَرَّتَيْنِ: رَأَيْتُ الْمَلَكَ يَحْمِلُكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ فَقُلْتُ لَهُ اكْشِفْ فَكَشَفَ فَإِذَا هِيَ أَنْتِ فَقُلْتُ إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ، ثُمَّ أُرِيتُكِ يَحْمِلُكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ فَقُلْتُ اكْشِفْ فَكَشَفَ فَإِذَا هِيَ أَنْتِ. فَقُلْتُ إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ. (البخاري حديث: ٧٠١٢).

وعَنْ عُرْوَةَ بن الزبير قَالَ: تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ مَخْرَجِ النَّبِيِّ إِلَى الْمَدِينَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ فَلَبِثَ سَنَتَيْنِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، وَنَكَحَ عَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ ثُمَّ بَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ. (البخاري حديث ٣٨٩٦).

وقد بنى النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة في شهر شوال على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجره صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد عودته من غزوة بدر عام اثنتين من الهجرة، ومات عنها النبي وهي ابنة ثماني عشرة سنة، وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ست وأربعون سنة. (الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٨صـ ٤٨: ٤٦).

مناقب عائشة رضي الله عنها

(١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَوْمًا يَا عَائِشُ هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ فَقُلْتُ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ تَرَى مَا لَا أَرَى تُرِيدُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم. (البخاري حديث: ٣٧٦٨، ومسلم حديث: ٢٤٤٧).

(٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ. (البخاري حديث: ٣٧٧٠).

(٣) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ فَيَشْرَبُ وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ(اللحم) وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ. (مسلم حديث: ٣٠٠).

(٤) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالْحِرَابِ فَإِمَّا سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِمَّا قَالَ تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ خَدِّي عَلَى خَدِّهِ وَهُوَ يَقُولُ: دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ، قَالَ: حَسْبُكِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَاذْهَبِي. (البخاري حديث: ٩٥٠).

(٥) عَنْ عُرْوَةَ بنِ الزبير أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم لَمَّا كَانَ فِي مَرَضِهِ جَعَلَ يَدُورُ فِي نِسَائِهِ وَيَقُولُ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟ حِرْصًا عَلَى بَيْتِ عَائِشَةَ. قَالَتْ عَائِشَةُ فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي سَكَنَ. (البخاري حديث: ٣٧٧٤، ومسلم حديث: ٢٤٤٣).

(٦)عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَاتَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم فِي بَيْتِي وَيَوْمِي وَبَيْنَ سَحْرِي(الرئة) وَنَحْرِي(أعلى الصدر) فَدَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمَعَهُ سِوَاكٌ رَطْبٌ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُ فِيهِ حَاجَةً قَالَتْ: فَأَخَذْتُهُ فَمَضَغْتُهُ وَنَفَضْتُهُ وَطَيَّبْتُهُ ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَيْهِ فَاسْتَنَّ كَأَحْسَنِ مَا رَأَيْتُهُ مُسْتَنًّا قَطُّ ثُمَّ ذَهَبَ يَرْفَعُهُ إِلَيَّ فَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذْتُ أَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِدُعَاءٍ كَانَ يَدْعُو لَهُ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام وَكَانَ هُوَ يَدْعُو بِهِ إِذَا مَرِضَ فَلَمْ يَدْعُ بِهِ فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى الرَّفِيقَ الْأَعْلَى يَعْنِي وَفَاضَتْ نَفْسُهُ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا. (إسناده صحيح، مسند أحمد جـ٦صـ ٤٨).

ومن مناقبها مكانتها العلمية:

تبوأت أم المؤمنين عائشة مكانة علمية رفيعة جعلتها من علماء عصرها، والمرجع العلمي الذي يرجعون إليه فيما يغمض عليهم من مسائل القرآن والحديث والفقه، فيجدون عندها الجواب الشافي لجميع تساؤلاتهم واستفساراتهم.

روت عائشة ألفين ومئتين وعشرة أحاديث. اتفق لها البخاري ومسلم على مئة وأربعة وسبعين حديثا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين. (سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ٢صـ ١٣٩).

(١) عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا. (صحيح سنن الترمذي للألباني حديث ٣٠٤٤).

(٢) عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَفْصَحَ مِنْ عَائِشَةَ. (صحيح سنن الترمذي للألباني حديث ٣٠٤٥).

(٣) وعَنْ عروة بن الزبير، قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِفَرِيضَةٍ، وَلَا أَعْلَمَ بِفِقْهٍ وَلَا بِشِعْرٍ: مِنْ عَائِشَةَ. (إسناده صحيح، مصنف ابن أبي شيبة جـ ١٠صـ ٢٤٨).

(٤) قال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأيا في العامة. (سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ٢صـ ١٨٥).

(٥) قال الزهري: لو جُمعَ علمُ عائشة إلى علم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وجميع النساء كان علم عائشة رضي الله عنها أكثر. (صفة الصفوة لابن الجوزي جـ ٢صـ ٣٣).

(٦) وعَنْ مَسْرُوقٍ: أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: هَلْ كَانَتْ عَائِشَةُ تُحْسِنُ الْفَرَائِضَ؟، فَقَالَ: إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ مَشْيَخَةَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم الْأَكَابِرَ يَسْأَلُونَهَا عَنِ الْفَرَائِضِ. (إسناده صحيح) (مصنف ابن أبي شيبة جـ ١٠صـ ٢٤٨).

(٧) قال ابن كثير: لم يكن في النساء أعلم من تلميذاتها عمرة بنت عبد الرحمن، وحفصة بنت سيرين، وعائشة بنت طلحة. وقد تفردت أم المؤمنين عائشة بمسائل عن الصحابة لم توجد إلا عندها. (البداية والنهاية لابن كثير جـ ٨صـ ٩٦).

اجتهادها في العبادة:

قال القاسم بن محمد: كانت عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها تصوم، تصوم حتى يُذلقها

(يضعفها) الصوم. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني جـ ٢صـ ٤٧).

وقال القاسم بن محمد أيضاً: كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها، فغدوت يوما فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ «فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ» (الطور: ٢٧) وتدعو وتبكي وترددها فقمت حتى مللت القيام، فذهبتُ إلى السوق لحاجتي ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي. (صفة الصفوة لابن الجوزي جـ ٢صـ ٣١).

ومن أهم مناقبها حب النبي صلى الله عليه وسلم لها:

(١) عَنْ أَبِي عُثْمَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ. قُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ؟ قَالَ أَبُوهَا. قُلْتُ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ عُمَرُ، فَعَدَّ رِجَالًا فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ. (البخاري حديث: ٤٣٥٩، ومسلم حديث: ٢٣٨٤).

(٢) عن عُروةَ بنِ الزبير قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ قالَتْ عائشةُ: فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ وَإِنَّا نُرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ فَمُرِي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ أَوْ حَيْثُ مَا دَارَ قَالَتْ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ أُمُّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَاكَ فَأَعْرَضَ عَنِّي فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا. (البخاري حديث ٣٧٧٥).

قال الإمام الذهبي: هذا الجواب منه دالٌّ على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها. (سير أعلام النبلاء جـ ٢صـ ١٤٣).

(٣) كان لها في القَسْم يومان: يومها ويوم سَوْدَة حين وهبتها ذلك تقرباً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكراً غيرها، وهي أفقه نساء الأمَّة على الإطلاق. (البداية والنهاية لابن كثير جـ ٨صـ ٩٥).

زهدها وكرمها:

(١) قال عروة بن الزبير بعث معاوية مرة إلى عائشة بمئة ألف درهم، فوالله ما أمست حتى فرقتها. فقالت لها مولاتها: لو اشتريت لنا منها بدرهم لحما؟ فقالت: ألا قلت لي. (سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ٢صـ ١٨٦).

(٢) قال عروة بن الزبير أيضاً: إن عائشة تصدقت بسبعين ألفا ؛ وإنها لترقع جانب درعها رضي الله عنها. (الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٨صـ ٥٣).

(٣) قال عطاء: إن معاوية بعث إلى عائشة بقلادة بمئة ألف، فقسمتها بين أمهات المؤمنين. (سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ٢صـ ١٨٧).

خوفها من الله تعالى:

(١) عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الطُّفَيْلِ هُوَ ابْنُ الْحَارِثِ وَهُوَ ابْنُ أَخِي عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لِأُمِّهَا أَنَّ عَائِشَةَ حُدِّثَتْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ قَالَ فِي بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ وَاللَّهِ لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ أَوْ لَأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا فَقَالَتْ أَهُوَ قَالَ هَذَا قَالُوا نَعَمْ قَالَتْ هُوَ لِلَّهِ عَلَيَّ نَذْرٌ أَنْ لَا أُكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبَدًا فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا حِينَ طَالَتْ الْهِجْرَةُ، فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ لَا أُشَفِّعُ فِيهِ أَبَدًا وَلَا أَتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِي، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ كَلَّمَ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ وَهُمَا مِنْ بَنِي زُهْرَةَ وَقَالَ لَهُمَا: أَنْشُدُكُمَا بِاللَّهِ لَمَّا أَدْخَلْتُمَانِي عَلَى عَائِشَةَ فَإِنَّهَا لَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَنْذِرَ قَطِيعَتِي. فَأَقْبَلَ بِهِ الْمِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ مُشْتَمِلَيْنِ بِأَرْدِيَتِهِمَا حَتَّى اسْتَأْذَنَا عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَا السَّلَامُ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ أَنَدْخُلُ قَالَتْ عَائِشَةُ ادْخُلُوا قَالُوا: كُلُّنَا؟ قَالَتْ نَعَمْ ادْخُلُوا كُلُّكُمْ وَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُمَا ابْنَ الزُّبَيْرِ فَلَمَّا دَخَلُوا دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْحِجَابَ فَاعْتَنَقَ عَائِشَةَ وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي وَطَفِقَ الْمِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ يُنَاشِدَانِهَا إِلَّا مَا كَلَّمَتْهُ وَقَبِلَتْ مِنْهُ وَيَقُولَانِ: إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم نَهَى عَمَّا قَدْ عَلِمْتِ مِنْ الْهِجْرَةِ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَى عَائِشَةَ مِنْ التَّذْكِرَةِ وَالتَّحْرِيجِ طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُمَا نَذْرَهَا وَتَبْكِي وَتَقُولُ إِنِّي نَذَرْتُ وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ فَلَمْ يَزَالَا بِهَا حَتَّى كَلَّمَتْ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَأَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً وَكَانَتْ تَذْكُرُ نَذْرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَتَبْكِي حَتَّى تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا. (البخاري حديث ٦٠٧٣).

(٢) قالت عائشة حين حضرتها الوفاة: والله لوددت أني كنت شجرة، والله لوددت أني كنت مدرة، والله لوددت أن الله لم يكن خلقني شيئا قط. (الطبقات الكبرى لابن سعدجـ ٨صـ ٥٩).

حادث الإفك وبراءة عائشة:

قال الإمام الذهبي: حادث الإفك (الكذب) كان في غزوة المريسيع (وتُسمى غزوة بني المصطلق) سنة خمس من الهجرة، وعمر عائشة رضي الله عنها يومئذ اثنتا عشرة سنة. (سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ٢صـ ١٥٣).

قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا
تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ
مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلَا إِذْ
سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ
مُبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ
فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
(١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ
مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦)
يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ
أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (النور: ١٩: ١١).

قال الإمام ابن كثير: لما تكلم فيها أهل الإفك بالزور والبهتان، غار الله لعائشة فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تتلى على تعاقب الزمان.

وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها، واختلفوا في بقية أمهات المؤمنين، هل يكفر من قذفهن أم لا؟ على قولين، وأصحهما أنه يكفر، لأن المقذوفة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله تعالى إنما غضب لها لأنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهي وغيرها منهن سواء. (البداية والنهاية لابن كثير جـ٨صـ٩٥).

موقف الشيعة الروافض من أم المؤمنين عائشة:

يعتقد الرافضة أن كل الصحابة قد ارتدوا بعد موت النبي إلا ثلاثة وهم: المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي. (الشيعة والسنة صـ٤٩).

الشيعة الروافض يلعنون ويسبون أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعائشة وحفصة وذلك في دعاء صنمي قريش المشهور في كتبهم. (حقيقة الشيعة لعبد الله الموصلي صـ١١٦: صـ١١٧).

يقول محمد الباقر المجلسي (أحد علماء الشيعة): عقيدتنا في التبرؤ: إننا نتبرأ من الأصنام الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية، والنساء الأربع: عائشة، وحفصة، وهند، وأم الحكم، ومن جميع أتباعهم وأشياعهم، وأنهم أشر خلق الله على وجه الأرض، وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا بعد التبرؤ من أعدائهم. (حق اليقين للمجلسي صـ٥١٩)

روى ابن بابويه عن محمد الباقر: أنه قال: إذا ظهر الإمام المهدي (الإمام الثاني عشر للشيعة)، فإنه سيحيي عائشة ويقيم عليها الحد انتقاماً لفاطمة. (حق اليقين للمجلسي صـ٣٧٨).

اجتهاد عائشة في فتنة موقعة الجمل:

اعلم، أخي المسلم الكريم، أن عائشة، رضي الله عنها، خرجت إلى البصرة للإصلاح بين المسلمين باجتهاد منها.

عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَتْ عَائِشَةُ بَلَغَتْ مِيَاهَ بَنِي عَامِرٍ لَيْلًا نَبَحَتْ الْكِلَابُ قَالَتْ أَيُّ مَاءٍ هَذَا قَالُوا مَاءُ الْحَوْأَبِ قَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي إِلَّا أَنِّي رَاجِعَةٌ فَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهَا بَلْ تَقْدَمِينَ فَيَرَاكِ الْمُسْلِمُونَ فَيُصْلِحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَاتَ بَيْنِهِمْ قَالَتْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَنَا ذَاتَ يَوْمٍ كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ. (إسناده صحيح، مسند أحمد جـ ٦صـ ٥٢).

وقال الذهبي: ولا ريب أن عائشة ندمت ندامة كلية على مسيرها إلى البصرة وحضورها يوم الجمل، وما ظنت أن الأمر يبلغ ما بلغ.
(سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ٢صـ ١٧٧).

قالت عائشة: إذا مر ابن عمر، فأرونيه. فلما مر بها، قيل لها: هذا ابن عمر. فقالت: يا أبا عبد الرحمن، ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيت رجلاً قد غلب عليك (يعني عبد الله بن الزبير). (سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ٢ص١٩٣).

وفاة عائشة:

توفيت عائشة سنة سبع وخمسين، ليلة الثلاثاء، لسبع عشرة ليلة مضت من رمضان، وأوصت أن تدفن بالبقيع ليلا. فدفنت وصلى عليها أبو هريرة، ونزل في قبرها خمسة: عبد الله وعروة ابنا الزبير والقاسم بن محمد بن أبي بكر وعبد الله بن محمد بن أبي بكر وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر،و كان عمر عائشة حين توفيت ثلاث وستون سنة وعدة أشهر. (أسد الغابة لابن الأثير جـ ٦صـ ١٩٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي جـ ٢صـ ١٩٣: ١٩٢).

أسأل اللهَ تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته أن يجمعنا مع عائشة في الفردوس الأعلى من الجنة، بحبنا لها، وإن لم نعمل بمثل عملها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى اللهُ وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، والتابعينَ لهم بإحسان إلى يوم الدين.

سلامة الصدر وأثره على الجوارح

إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فإن سلامة الصدر من أجلِّ نعم الله عز وجل على عباده المتقين وهي من صفات أهل الجنة الذين وصفهم الله بقوله: «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ» [الحجر: ٤٧]، فأهل الجنة قلوبهم على قلب رجل واحد؛ لا تباغض بينهم ولا تحاسد.

ونظرًا لما لسلامة الصدر من فضل عظيم وثواب جزيل فقد جاءت النصوص الشرعية ترغب فيه وتأمر به والتي منها:

١- قول النبي صلى الله عليه وسلم عندما سُئل أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب، صدوق اللسان: قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو النقي التقي الذي لا إثم فيه ولا غل ولا بغي ولا حسد. [صحيح سنن ابن ماجه ٣/٣٧٣].

٢- قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم». رواه مسلم.

قال الإمام النووي رحمه الله: فالسلام أول التآلف ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم ببعض. [شرح مسلم: ١/٣٧].

٣- قوله صلى الله عليه وسلم: أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضمضم، كان إذا أصبح قال: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك. [صحيح سنن أبي داود ٣/١٩٩].

قال ابن القيم رحمه الله معلقًا على الحديث: وفي الحديث منزلة سلامة الصدر وراحة القلب، والتخلص من معاداة الخلق. [مدارج السالكين ٢/٢٩٥].

فمتى كان القلب خاليًا من الآفات التي تكدّره نال الشرف والخيرية، ولذا كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أصفى الخلق قلوبًا، وأسلمهم صدرًا، وأقلهم غيبة.

٤- قوله صلى الله عليه وسلم: «حُرِّم على النار كل هيّن ليّن سهل قريب من الناس». [صحيح الجامع الصغير: ٣١٣٥].

وتأمل أخي في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق وأكرمهم على الله تجد أنه كان يعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه، هيّنًا ليّنًا سمحًا، فها هو يوم الطائف بعد أن لاقى من أهلها ما لاقى من الأذى والتكذيب يأبى أن يدعو عليهم، بل قال لملك الجبال عندما عرض عليه أن يطبق عليهم الأخشبين:" أرجو أن يُخرج الله تعالى من أصلابهم مَن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا." [أخرجه البخاري ومسلم جزء من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها].

وفي غزوة أُحُد سال دمه وكُسرت رباعيته، بيد أنه لم يفقد سلامة الصدر فعاقب من أذاه ونال منه، بل كان يقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». [رواه البخاري ومسلم].

قال ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد: «انظر كيف جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الكلمات بين أربع مقامات؛ أولها مقام الإحسان، حيث قابل الإساءة بالإحسان، وثانيها العفو عمن أساء إليه، وثالثها الاعتذار عنهم بأنهم لا يعلمون، ورابعها الاستعطاف بإضافتهم إليه في قوله صلى الله عليه وسلم: اغفر لقومها» (بدائع الفوائد ٢/٤٦٨).

وتظهر سلامة صدره صلى الله عليه وسلم جليًا عندما فتح مكة وظفر بقريش الذين آذوه وأخرجوه بل حاولوا قتله، فاختار صلى الله عليه وسلم الصفح والصبر وعدم عقوبتهم.

وكذا في دعائه لثقيف عندما قال له الصحابة: ادع الله عليهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم اهد ثقيفا» رواه الترمذي.

٥- قال رب العالمين في وصف أصحاب النبي الأمين صلى الله عليه وسلم: «مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» [الفتح: ٢٩]، وهذه الرحمة لا تتأتى إلا مع قلب سليم أصحابه متراحمون متعاطفون متحابون كالجسد الواحد يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه.

وما موقف الأنصار من إخوانهم المهاجرين عنا ببعيد، يقول رب العالمين في وصفهم: «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» [الحشر: ٩]، قال ابن كثير رحمه الله: أي لا يجدون في أنفسهم حسدًا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة. [تفسير ابن كثير ٤/٣٣٧].

وقال السعدي رحمه الله: «أي لا يحسدون المهاجرين على ما أتاهم الله من فضله، وخصهم من الفضائل والمناقب التي هم أهلها، وهذا يدل على سلامة صدورهم، وانتفاء الغل والحقد والحسد عنها». [تفسير القرآن ص٨٥١].

٦- قال زيد بن أسلم رحمه الله: دُخل على أبي دجانة الأنصاري وهو مريض وكان وجهه يتهلل فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى كان قلبي للمسلمين سليمًا. [سير أعلام النبلاء ١/٢٤٣].

٧- قال سفيان بن دينار لأبي بشر رحمهما الله أخبرني عن أعمال من قبلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيرًا ويؤجرون كثيرًا، قال سفيان: ولِمَ ذاك؟ قال أبو بشر: لسلامة صدورهم.

أسباب سلامة الصدور:

وحيث إن سلامة الصدور من الصفات التي يمكن للمرء أن يحصلها إذا ما سلك ما أمره الله به من أسباب تعينه بعد توفيق الله على سلامة قلبه كان لا بد من ذكر بعض هذه الأسباب والتي منها:

١- الدعاء بالخير والمغفرة لإخوانك المسلمين ولكل من أساء إليك وهذه منزلة لا يفعلها إلا المقربون، يقول تعالى: «وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» [محمد: ١٩]، ويقول جل شأنه: «رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» [الحشر: ١٠]، ولذا كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «واسلل سخيمة قلبي». [صحيح سنن أبي داود].

وإليك أخي نماذج من هدي السلف مع من أساء إليهم؛ لعلنا نصل إلى منزلتهم، وما ذلك على الله ببعيد:

١- سُرق لعبد الله بن مسعود مال، فجعل أصحابه يدعون على السارق، فقال رضي الله عنه: اللهم إن كان حملته على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن حمله جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه. [موعظة المذنبين للقاسمي ص٢٣٩].

٢- قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «إني لأستغفر الله لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسماء آبائهم». [سير أعلام النبلاء ٩/٥٥].

٣- كان الإمام أحمد رحمه الله إذا ما شعر بألم من آثار الضرب الذي كان الخليفة المعتصم قد أمر به للإمام يقول: «اللهم اغفر للمعتصم». [مناقب أحمد، لابن الجوزي].

٤- قال ابن القيم رحمه الله في وصف شيخه ابن تيمية رحمه الله: «ما رأيته يدعو على أحد من خصومه قط، بل كان يدعو لهم». [مدارج السالكين ٢/٣٤٧].

ثانيًا: تعاهد القلب وإخلاصه:

ومن الأسباب التي تعين المرء على سلامة صدره، أن يحرص على تعاهد قلبه وتخليصه من الآفات المهلكة والتي من أبرزها الحسد الذي هو تمني زوال نعمة الغير، وهو خُلق

ذميم وذنب عظيم، له أضراره على الحاسد والمحسود، ولذا حذّرنا منه صلى الله عليه وسلم فقال: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا». [صحيح البخاري].

وحذر صلى الله عليه وسلم من خطره فقال: «دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين». [صحيح سنن الترمذي ٣/٦٠٧].

وليس في خصال الشر أعدي من الحسد كما قال معاوية رضي الله عنه، وهو مرض من أمراض القلوب لا يخلص فيه إلا القليل، لكن اللئيم يبديه والكريم يخفيه.

حسن الظن بالمسلمين:

وذلك بأن يحمل المسلم أقوال وأفعال إخوانه على أحسن المحامل وأصلحها، يقول سبحانه: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ» [الحجرات: ١٢]، وقال صلى الله عليه وسلم: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث». [رواه البخاري].

فالإسلام يقطع دابر سوء الظن، ويغلق مداخل الشيطان التي تؤثر على سلامة الصدر، فينبغي للمسلم أن يغلّب حسن الظن دائمًا، ويلتمس الأعذار لإخوانه. قال سعيد بن المسيب رحمه الله: كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك عليه، ولا تظن بكلمة خرجت من في امرئ مسلم شرًا وأنت تجد لها في الخير محملاً».التوبيخ والتنبيه للأصبهاني.٧٦/١

وقال ابن عباس: «ما بلغني عن أخ مكروه قط إلا أنزلته إحدى ثلاث؛ إن كان فوقي عرفت له قدره، وإن كان نظيري تفضلت عليه، وإن كان دوني لم أحفل به، هذه سيرتي في نفسي، فمن رغب عنها فأرض الله واسعة. [صفة الصفوة ١/ ٧٥٤].

وتأول الهفوات من شيم الصالحين وذوي الفضل؛ فهذه زوجة طلحة بن عبد الله بن عوف تقول لزوجها: ما رأيت ألأم من إخوانك، إذا أيسرت لزموك وإذا عسرت تركوك. قال لها: هذا والله من كرمهم: يأتوننا في حال القوة بنا عليهم، ويتركوننا في حال الضعف بنا عنهم. روضة العقلاء١/١٣٨.

قال الماوردي في موقف طلحة رضي الله عنه: وبمثل هذا يلزم ذوي الفضل أن يتأولوا الهفوات من إخوانهم. [أدب الدنيا والدين للماوردي ص٢٦٧].

العفو والصفح عن الناس:

فهو أجلُّ ضروب فعل الخير، ومن أسباب سلامة الصدر ونقاء القلب وزوال الهم والغم، ولذا كان صلى الله عليه وسلم يرغّب فيه ويأمر به، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه». [رواه مسلم].

وقالت عائشة رضي الله عنها في وصف النبي صلى الله عليه وسلم: لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها، لكن يعفو ويصفح. [مسند أحمد].

وموقف الصديق رضي الله عنه من مسطح بن أثاثة رضي الله عنه خير نموذج للصفح المؤدي لسلامة الصدر ونقاء القلب، فمع أن مسطح خاض في عِرض أم المؤمنين مع الخائضين إلا أن الصديق عفا عنه وتجاوز عن هفوته وفيه أنزل الله: «وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا أُولِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوٓا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» [النور: ٢٢]. قال الصديق رضي الله عنه: بل والله إني لأحب أن يغفر الله لي.

رحم الله الإمام أحمد بن حنبل الذي قال: ماذا ينفعك أن يُعذَّب أخوك المسلم بسببك، وقد قال تعالى: (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) برسم المصحف.

والله من وراء القصد.



من عوامل الصبر والثبات: البشارات بالنجاح

إعداد/ المستشار/أحمد السيد علي

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد: فما يزال الحديث موصولا عن عوامل الصبر والثبات، ونتكلم بمشيئة الله تعالى عن العامل الثالث (البشارات بالنجاح) بشيء من التفصيل:

أولا: معنى البشارات بالنجاح:

وردت البشارات في القرآن والسنة في مواضع عدة منها قوله تعالى: «وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار» (البقرة: ٢) وقوله «وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ» (البقرة ١٥٥)، وقوله جل وعلا: «وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» (البقرة ٢٢٣) وقوله سبحانه: «يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ» (التوبة ٢١) وقوله جل وعلا: «وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ» (يونس ٢) وقوله سبحانه: «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ» (النحل ١٠٢) وقوله تعالى: «فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا» (مريم ٩٧) وقوله سبحانه: «وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ» (الحج ٣٤) وقوله سبحانه: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا» (الفرقان ٥٦) وقوله تعالى: «إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ» (يس ١١).

ومن السنة ما رواه أبو موسى الأشعري أنه قال: (كان رسولُ اللـه صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، إذا بعث أحدًا من أصحابه في بعضِ أمره، قال (بشّروا ولا تُنفروا. ويَسّروا ولا تُعسّروا) (رواه مسلم ١٧٣٢)، وقال صلى الله عليه وسلم: (بشر المشائينَ في الظُّلَمِ إلى المساجدِ بالنُّورِ التَّامِّ يَومَ القِيامةِ) (رواه الترمذي ٢٢٣ وصححه الألباني).

والمسلم حينما يتلقى البشرى من قوله تعالى: «وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» (البقرة ١٥٤ - ١٥٧) لا يسعه إلا الصبر والثبات، وحينما يبشره ربه ويبشره نبيه بالخير العميم لا يملك إلا الصبر والثبات.

ثانيا: ارتباط هذا العامل من عوامل الثبات (أعني: البشارات) ببعض أنواع الصبر المختلفة:

النوع الأول: الصبر على المصائب:

فقد كان للبشريات التي عايشها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أثرًا بالغا في الصبر على المصائب، ومن تلك البشريات: ما بشر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه من جزاء الصبر على فقد الأولاد، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا مات ولدُ العبدِ قال اللـه لملائكته: قبضتُم ولدَ عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرةَ فؤاده فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول

اللهُ: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه: بيتَ الحمدِ) (رواه الترمذي ١٠٢١ وحسنه الألباني).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ كَانَ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ) (متفق عليه).
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (جاءت امرأة إلى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلَّمَ فقالت: يا رسول الله ! ذهب الرجالُ بحديثك. فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه. تعلمُنا مما علمك اللهُ. قال « اجتمعْن يومَ كذا وكذا ». فاجتمعْن. فأتاهن رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلَّمَ فعلمهنَّ مما علمه اللهُ. ثم قال: « ما منكن من امرأة تُقدِّم بين يديها، من ولدها، ثلاثةً، إلا كانوا لها حجابًا من النار « فقالت امرأةٌ: واثنين. واثنين. واثنين؟ فقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلَّمَ: «واثنين. واثنين. واثنين». وفي رواية: «ثلاثة لم يبلغوا الحنثَ) (متفق عليه).
وهذه البشريات أدت إلى الصبر على مصيبة فقد الولد، عَنْ مُعَاوِيَةَ بن قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُحِبُّهُ؟»، قَالَ: أَحَبَّكَ اللَّهُ كَمَا أُحِبُّهُ، فَتُوُفِّيَ ابْنُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيْنَ فُلَانٌ؟»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَاتَ ابْنُهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَ لا يَسُرُّكَ أَنْ لا تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلا جَاءَ حَتَّى يَفْتَحَهُ لَكَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَهُ خَاصَّةً أَمْ لَنَا كُلِّنَا؟، قَالَ: «لا بَلْ لَكُمْ كُلِّكُمْ») (رواه الطبراني في الكبير (١٥٣٩٧) واللفظ له، ورواه النسائي مختصرًا ١٨٧٠ وصححه الألباني)
وقارن أخي الحبيب بين صبر هذا الصحابي على فقده لولده وبين ما يفعله بعض الناس الآن من أفعال وأقوال تخالف شرع الله، بل وقد تصل إلى الكفر به سبحانه.
النوع الثاني: الصبر على الابتلاءات: (والابتلاء معناه الاختبار والامتحان كما قال تعالى: (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً» [الأنبياء: ٣٥]، فقد يكون خيرا أو شرًا، وهذا يبين الفرق بين الابتلاءات والمصائب).
ومنها الابتلاء بإنجاب البنات؛ فقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بجزاء الصبر على الابتلاء بهن، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (جاءتني امرأةٌ، ومعها ابنتان لها. فسألتْني فلم تجدْ عندي شيئًا غيرَ تمرةٍ واحدةٍ. فأعطيتُها إياها. فأخَذَتْها فقسمَتْها بين ابنتَيها. ولم تأكلْ منها شيئًا. ثم قامت فخرجت وابنتاها. فدخل عليَّ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ فحدَّثْتُه حديثَها. فقال النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ « من ابتُلِيَ من البنات بشيءٍ، فأحسنَ إليهنَّ، كُنَّ له سترًا من النار) (متفق عليه).
وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: (مَن كانَ لَهُ ثلاثُ بَناتٍ فصبرَ عليهنَّ، وأطعمَهُنَّ، وسقاهنَّ، وَكَساهنَّ من جِدَتِه - يعني ماله - كنَّ لَهُ حجابًا منَ النَّارِ يومَ القيامَةِ) (رواه ابن ماجه ٣٦٦٩ وصححه الألباني).
وقد كان لهذه البشريات أعظم الأثر في ثبات الصالحين على هذا الابتلاء، فهذا صالح ابن الإمام أحمد بن حنبل يقول: (كان أبي إذا وُلد له ابنة يقول: الأنبياء كانوا آباء بنات، ويقول: قد جاء في البنات ما قد علمت) اهـ (تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم ص٢٦).
وهذا يعقوب بن بختان يقول: (وُلد لي سبع بنات، فكنت كلما وُلد لي ابنة دخلت على أحمد بن حنبل فيقول لي: يا أبا يوسف! الأنبياء آباء بنات، فكان يذهب قوله همي) اهـ(تحفة المودود ص٢٦).
وهذا منصور الفقيه ينشد قائلاً:

أحب البنات فحب البنات
فرض على كل نفس كريمة
لأن شعيبا لأجل البنات
أخدمه الله موسى كليمه

(ذكره ابن مفلح المقدسي في كتابه الآداب الشرعية والمنح المرعية ١/٤٨٠)
وحكي أن عمرو بن العاص دخل على معاوية وعنده ابنته. فقال: (من هذه يا معاوية؟ فقال: هذه تفاحة القلب وريحانة العين وشمامة الأنف. فقال: أمطها عنك. قال: ولم؟ قال: لأنهن يلدن الأعداء، ويقربن البعداء، ويورثن الشحناء، ويثرن البغضاء. قال: لا تقل ذلك يا عمرو! فو الله ما مرض المرضى، ولا ندب الموتى، ولا أعان على الزمان، ولا أذهب جيش الأحزان مثلهن، وإنك لواجد خالا قد نفعه بنو أخته، وأبًا قد رفعه نسل بنيه. فقال: يا معاوية! دخلت عليك وما على الأرض شيء أبغض إلي منهن. وإني لأخرج من عندك وما عليها شيء أحب إلي منهن) اهـ (ذكره القاسمي في محاسن التأويل عند تفسيره لسورة التكوير).
وقارن أخي الحبيب بين هؤلاء العظام وما يفعله بعض المسلمين الآن من التسخط على رزق البنات، وتطليق زوجته لإنجابها البنات، وتعيير الحموات لزوجات أبنائهن على خلفتهن لهن، حتى صدق فيهم قوله تعالى: « وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ » (النحل ٥٨ - ٥٩).
النوع الثالث: الصبر على الطاعات:

ومـن أجل الطاعات قراءة القرآن، وقد بشـر النبي صلى الله عليه وسـلم قارئـه بالأجر العظيـم فقـال: «تَعَلَّمُوا سُـورَةَ الْبَقَـرَةِ فَـإِنَّ أَخْذَهَـا بَرَكَـةٌ وَتَرْكَهَـا حَسْـرَةٌ ولا يستطيعها الْبَطَلَةُ (أي: السحرة)، قَالَ: ثُمَّ مكث سَاعَةً ثُمَّ قَالَ «تَعَلَّمُوا سُـورَةَ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا الزَّهْرَاوَانِ يُظِلاَّنِ صَاحِبَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ فِرْقَـانِ مِنْ طَيْرٍ صَـوَافَّ وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ وَأَسْـهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، فَيُعْطَى الْمُلْـكَ بِيَمِينِـهِ وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِـهِ تَاجُ الْوَقَـارِ وَيُكْسَـى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لاَ يَقُومُ لَهُمَـا أَهْلُ الدُّنْيَا فَيَقُـولاَنِ: بِمَ كُسِـينَا هَذَا؟ فَيُقَـالُ: بِأَخْـذِ ولدكما القرآن، ثـم يقال لَـهُ: اقْـرَأْ وَاصْعَدْ فِـي دَرَجِ الْجَنَّـةِ وَغُرَفِهَا فَهُوَ فِـي صُعُـودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ هَـذًّا كَانَ أَوْ تَرْتِيلاً» (رواه أحمد ٢٣٠٢٥ وحسنه الألباني لشواهده).

وَالْبَطَلَةُ: السَّـحَرَةُ، وَمَعْنَى لاَ تَسْتَطِيعُهَا أَيْ: لاَ يُمْكِنُهُمْ حِفْظُهَـا، وَقِيلَ: لاَ تَسْـتَطِيعُ النُّفُوذَ فِي قَارِئِهَا، وسُـميتا الزهراوين لنورهما وهدايتها وعظيم أجرهما، والغمامة والغياية بمعنى واحد وهما كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما. والفرقان: الجماعتان أو القطيعـان، وأحدهمـا فرق. وقوله: مـن طير صوّاف، جمـع صافـة وهـي من الطيـور مـا يبسـط أجنحته في الهواء.

وقد كان لهذه البشـريات أعظم الأثر في الصبر على تلك الطاعـة العظيمـة، فهـذا عبدالله بن عباس رضـي الله عنهمـا يقـول (تُوُفِّيَ رسـولُ الله صلى اللهُ عليه وسلَّم، وأنا ابنُ عَشْـرِ سِـنِينَ وقدْ قرَأْتُ المُحْكَمَ) (رواه البخاري ٥٠٣٥).

(والمفصل يبـدأ مـن سـورة ق إلى آخر القرآن وسـمى بذلك لكثرة الفصل بين سـوره بالبسملة على الصحيح) وهـذا عمـرو بن سـلمة رضي اللـه عنه يقـول: (بدر أبي قومـي بإسـلامهم، فلما قدم قـال: جئتُكم واللـه من عند النبـيِّ صلَّـى اللهُ عليه وسـلَّمَ حقًّا، فقـال: (صلُّوا صلاةَ كـذا في حين كـذا، وصلُّوا كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاةُ فليـؤذِّن أحدُكم، وليؤمكم أكثرُكم قرآنًا). فنظروا فلـم يكن أحد أكثرَ قرآنًا مني، لما كنت أتلقى من الركبان، فقدَّموني بين أيديهم، وأنا ابن ستٍّ أو سبعِ سنين) (رواه البخاري ٤٣٠٢).

وقارن بين هؤلاء الأفذاذ وبين كثير من المسلمين الآن لا يلقون بالاً لكتاب الله عز وجل، وحظ أحدهم منه التبرك بـه بوضعه على الأرفف والمكاتـب، وغيرها طلبًا للبركة، والأحسـن حـالاً منهم مـن يقرأه في رمضـان كل عام ولا يقربه بقية العام.

النوع الرابع: الصبر عن المعاصي:

فمـن أكثـر المعاصـي التـي يقترفهـا الإنسـان، معاصي اللسـان والفرج، وقد بشـر النبي صلى الله عليه وسـلم أمتـه بجـزاء مـن يصبـر عـن تلـك المعاصي فقـال: (من يضمَنْ لي ما بين لحيَيْه وما بين رِجلَيْه أضمنُ له الجنَّةَ) (صحيح البخاري ٦٤٧٤).

وقـد آتـت تلك البشـرى أكلها مع من تمسـك بهـا، فهذا مصعـب بـن عثمان يقـول: (كان سـليمان بن يسـار من أحسـن النـاس وجهًا فدخلـتْ عليه امرأة بيته فسـألته نفسـه فامتنـع عليها، فقالت إذن أفضحـك، فخرج هاربًا عـن منزله وتركها فيه) (نقله ابـن القيم في كتابه روضة المحبـين ونزهة المشـتاقين) وقارن بين ما فعله سـليمان رحمه الله وما يفعله بعض المسلمين الآن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

النوع الخامس: الصبر على النعم:

ونعم الله كثيرة وعظيمة وقد بشر النبي صلى الله عليه وسـلم مـن صبر عليها فقـال: (قد أفلحَ من أسـلمَ، ورُزِقَ كفافًا، وقنَّعه اللهُ بما آتاهُ) (رواه مسلم ١٠٥٤).

وقـد عمـل أصحـاب النبي صلـى الله عليه وسـلم بهذه البشرى العظيمة، وليس أدل على ذلك مما رواه محمد بن كعب (أن ناسًـا نزلوا على أبي الدرداء ليلة قرة (شـديدة البـرودة) فأرسـل إليهم بطعام سـخن ولم يرسـل إليهم بلحف، فقال بعضهم لقد أرسـل إلينا بالطعام فما هنأنا مـع القر (أي: لم نهنأ بالطعام من شـدة برودة الجو)، لا أنتهي أو أبين له، قال الآخر: دعه، فأبى، فجاء حتى وقف على الباب فرآه جالسـا وامرأته ليـس عليها من الثياب إلا مـا لا يُذكـر فرجع الرجل وقـال: (أي: قال الرجل الذي ذهـب لأبي الدرداء): ما أراك بت إلا بنحو ما بتنا به (أي أن أبا الدرداء بات مثلهم بغير غطاء لأنه لا يملكه)، قال: إن لنا دارًا ننتقل إليها قدمنا فرشـنا ولحفنا إليها، ولو ألفيت عندنا منه شـيئًا لأرسلنا إليك به، وإن بين أيدينا عقبـة كؤودًا المُخفُ فيها خير من المثقل، أفهمت ما أقول لك قال: نعم (أي: يعظه بالهجرة للآخرة). (صفة الصفوة ٦٤٠/١).

وقـارن بـين ما فعلـه الصحابي الجليل وبـين ما يفعله بعض المسـلمين من التكالـب على الدنيـا، وعدم الصبر على نعم الله عز وجل حتى صدق عليهم قوله صلى الله عليـه وسـلم: (لـوْ كان لابن آدمَ وادٍ من ذهـبٍ أحبَّ أنَّ له واديًا آخَرَ. ولَن يملأَ فَاهُ إلاَّ التُّرابُ. واللهُ يتُوبُ على مَن تابَ) (رواه مسلم ١٠٤٨).

فنسـأل الله عز وجـل أن يصبرنا ويثبتنا وأن يجعل لنا نصيبًـا مما بشـر به نبيـه صلى الله عليه وسـلم، والله الموفق، والهادي إلى سواء السبيل.



توصيات وفتاوى مؤتمر الزكاة الأول

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله نستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ الله فهو المُهْتَدِ، ومَنْ يُضْلِلْ فلن تجد له وليًا مرشدًا، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا رسول الله، وعلى آله وصَحْبه ومَن اهتدى بهَدْيه واتَّبع سنَّته إلى يوم الدِّين.

إعداد/ د. علي أحمد السالوس

أما بعد: فاستكمالا للحلقة الماضية التي تناولنا فيها التَّطبيق المعاصر للزَّكاة، نورد فيما يلي أهم توصيات وقرارات مؤتمر الزكاة الأول المنعقد في دولة الكويت عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤ م بدعوة من بيت الزكاة الكويتي، وعُرِضت فيه أبحاث، وتمت مناقشتها، كما ناقشت اللجنة العلمية أربعة جوانب لأحكام الزكاة هي:

١- زكاة أموال الشركات والأسهم والسندات.
٢- زكاة المستغلات العقارية والصناعية وغيرها.
٣- زكاة الأجور والرواتب وأرباح المهن الحرة.
٤- زكاة الأموال المشتبه فيها والمحرمة.

وانتهى المؤتمر إلى عدد من التوصيات، كما أعلن الفتاوى التي أصدرها فقهاء اللجنة العلمية، وأثبت هنا التوصيات فالفتاوى، مع التعقيب بإيجاز.

أولاً: توصيات المؤتمر

١- يؤكد المؤتمر على ضرورة أن يعمل المسلمون جميعا- حكاماً ومحكومين- على ترسيخ العقيدة الإسلامية الخالصة وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية الغراء في بلادهم.

٢- يناشد المؤتمر ولاة الأمور في الدول الإسلامية وغيرها التي لم تنشأ فيها مؤسسات الزكاة ضرورة إنشاء وتشجيع قيام مؤسسات مستقلة للزكاة وذلك لما للزكاة من آثار طيبة على المجتمعات والأفراد.

٣- إنشاء أمانة عامة أو اتحاد لمؤسسات الزكاة لتنظيم جميع شئون الزكاة وعقد المؤتمرات المتخصصات واختيار أحد البلدان مقراً لها.

٤- تشكيل لجنة علمية من الفقهاء والمتخصصين لمعالجة الأمور المعاصرة المتعلقة بالزكاة ورفع توصياتها للجهة المعنية. ويتولى بيت الزكاة الكويتي متابعة الجهات المختصة في العلم الإسلامي لتنفيذ ذلك، على أن تعطى اللجنة أولوية لإعداد صياغة شرعية موحدة لأحكام الزكاة تعالج جمعها وصرفها وجميع المسائل المتعلقة بها.

٥- تكوين صندوق أو منظمة باسم صندوق الزكاة تشترك في الدول الإسلامية يكون تابعاً لمنظمة المؤتمر الإسلامي، للتنسيق بين مؤسسات الزكاة في الدول الإسلامية وحل مشاكلها عن طريق البحوث والدراسات اللازمة وتنظيم جمع الزكاة وتوزيعها على مستوى العالم الإسلامي. على أن يتولى بيت الزكاة في الكويت متابعة تنفيذ هذه التوصية مع منظمة المؤتمر الإسلامي وإعداد الدراسات اللازمة في هذا الشأن.

٦- يوصي المؤتمر بأن يكون انعقاد مؤتمر الزكاة كل سنة مرة في أحد الأقطار الإسلامية تأكيداً لأهمية هذه اللقاءات لمعالجة قضايا تخصصية على أن يتولى بيت الزكاة في الكويت متابعة تنفيذ هذه التوصية.

٧- دعوة وزارات التربية والتعليم والجامعات في الدول الإسلامية بالاهتمام بتدريس مقررات الزكاة وجوانبها المختلفة ضمن منهاجها وتشجيع البحث العلمي في نواحيها المتعددة.

٨- يوصي المؤتمر كافة الوسائل الإعلامية بتوضيح وتبسيط أحكام فريضة الزكاة وإعداد البرامج الموضحة لمدى الحاجة إليها في المجتمعات الإسلامية وآثارها في النهوض بهذه المجتمعات.

٩- يوصي المؤتمر بأهمية اختيار الموظفين ذوي الكفاءة والصلاح والاهتمام بالعمل الإسلامي العام لإدارة مؤسسات الزكاة والعمل على تنظيم الدورات التدريبية والحلقات التخصصية لتطوير قدراتهم.

١٠- يوصي المؤتمر بدراسة التطبيقات الحالية والمتقدمة في تطبيق فريضة الزكاة للاستفادة من خبراتها وأنشطتها المختلفة مثل المملكة العربية السعودية وجمهورية باكستان



الإسلامية وغيرها من الدول الإسلامية.

١١- يوصي المؤتمر صناديق وبيوتات الزكاة الاهتمام بالمجاهدين وتقديم كل عون لهم.

١٢- يوصي المؤتمر مؤسسات الزكاة في العالم الإسلامي بضرورة التنسيق المستمر فيما بينهم والعمل على تبادل الخبرات والرأي في مختلف قضايا الزكاة.

ثانيا الفتاوى

١ - زكاة أموال الشركات والأسهم

زكاة أموال الشركات:

١- تربط الزكاة على الشركات المساهمة نفسها لكونها شخصاً اعتبارياً، وذلك في كل من الحالات الآتية:

١) صدور نص قانوني ملزم بتزكية أموالها.

٢) أن يتضمن النظام الأساسي ذلك.

٣) صدور قرار الجمعية العمومية للشركة بذلك.

٤) رضا المساهمين شخصياً.

ومستند هذا الاتجاه الأخذ بمبدأ (الخلطة) الوارد في السنة النبوية بشأن زكاة الأنعام، والذي رأت تعميمه في غيرها بعض المذاهب الفقهية المعتبرة والطريق الأفضل وخروجاً من الخلاف - أن تقوم الشركة بإخراج الزكاة،فإن لم تفعل فاللجنة توصي الشركات بأن تحسب زكاة أموالها وتلحق بميزانيتها السنوية بياناً بحصة السهم الواحد من الزكاة.

زكاة الأسهم:

١- إذا قامت الشركة بتزكية أموالها فلا يجب على المساهم إخراج زكاة أخرى عن أسهمه منعاً للازدواج.

٢- أما إذا لم تقم الشركة بإخراج الزكاة فإنه يجب على مالك السهم تزكية أسهمه وفقاً لما هو مبين في البند التالي.

كيفية تقدير زكاة الشركات والأسهم:

٣- إذا كانت الشركة ستخرج زكاتها فإنها تعتبر بمثابة الشخص الطبيعي وتخرج زكاتها بمقاديرها الشرعية بحسب طبيعة أموالها ونوعيتها، أما إذا لم تخرج الشركة الزكاة فعلى مالك الأسهم أن يزكي أسهمه تبعا لإحدى الحالتين التاليتين:

٤- (الحالة الأولى): أن يكون قد اتخذ أسهمه للمتاجرة بها بيعاً وشراء فالزكاة الواجبة فيها هي إخراج ربع العشر (٥ر٢٪) من القمة السوقية بسعر يوم وجوب الزكاة، كسائر عروض التجارة.

٥- (الحالة الثانية): أن يكون قد اتخذ الأسهم للاستفادة من ريعها السنوي فزكاتها كما يلي:

أ - إن أمكنه أن يعرف عن طريق الشركة أو غيرها - مقدار ما يخص السهم من الموجودات الزكوية للشركة فإنه يخرج زكاة أسهمه بنسبة ربع العشر (٥ر٢٪).

ب - وإن لم يعرف فقد تعددت الآراء على ذلك:

- فيرى الأكثرية إن مالك السهم يضم ريعه إلى سائر أمواله من حيث الحول والنصاب ويخرج منها ربع العشر (٥ر٢٪) وتبرأ ذمته بذلك.
- ويرى آخرون إخراج العشر من الربح ١٠٪ فور قبضه، قياساً على غلة الأرض الزراعية.

٢ - زكاة المستغلات

٦- يقصد بالمستغلات المصانع الإنتاجية والعقارات والسيارات والآلات ونحوها من كل ما هو معد للإيجار وليس معداً للتجارة في أعيانه.

وهذه المستغلات اتفقت اللجنة على أنه لا زكاة في أعيانها وإنما تزكى غلتها، وقد تعددت الآراء في كيفية زكاة هذه الغلة: فرأى الأكثرية أن الغلة تضم (في النصاب والحول) إلى ما لدى مالكي المستغلات من نقود وعروض التجارة، وتزكى بنسبة ربع العشر(٥ر٢٪) وتبرأ الذمة بذلك.

ورأى البعض أن الزكاة تجب في صافي غلتها الزائدة عن الحاجات الأصلية لمالكيها بعد طرح التكاليف ومقابل نسبة الاستهلاك وتزكى فور قبضها بنسبة العشر (١٠٪) قياساً على زكاة الزروع والثمار.

٣- زكاة الأجور والرواتب وأرباح المهن الحرة وسائر المكاسب

٧- هذا النوع من الأموال يعتبر ريعاً للقوى البشرية للإنسان أن يوظفها في عمل نافع وذلك كأجور العمال ورواتب الموظفين وحصيلة عمل الطبيب والمهندس ونحوهم، ومثلها سائر المكاسب من مكافآت وغيرها وهي ما لم تنشأ من مستغل معين.

وهذا النوع من المكاسب ذهب أغلب الأعضاء إلى أنه ليس فيه زكاة حين قبضه ولكن يضمه الذي كسبه إلى سائر ما عنده من الأموال الزكوية في النصاب والحول فيزكيه جميعاً عند تمام الحول منذ تمام النصاب، وما جاء من هذه المكاسب أثناء الحول يزكى في آخر الحول ولو لم يتم حول كامل على كل جزء منها.

وما جاء منها ولم يكن عند كاسبه قبل ذلك نصاب يبدأ حوله من حين تمام النصاب عنده وتلزمه الزكاة عند تمام الحول من ذلك الوقت ونسبة الزكاة في ذلك ربع العشر (٥ر٢٪) لكل عام. وذهب بعض الأعضاء إلى أنه يزكي هذه الأموال المستفادة عند قبض كل منها بمقدار ربع العشر (٥ر٢٪) إذا بلغ المقبوض نصاباً وكان زائداً عن حاجاته الأصلية وسالماً من الدين.

فإذا أخرج هذا المقدار فليس عليه أن يعيد تزكيته عند تمام الحول على سائر أمواله الأخرى ويجوز للمزكي هنا أن يحسب ما عليه ويخرجه فيما بعد مع أمواله الحولية الأخرى.



باقي فتاوى المؤتمر في العدد القادم إن شاء الله ، والحمد لله رب العالمين.

بيان أنصار السنة المحمدية في أحداث تفجير المنصورة

في حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وفي أول ساعات يوم الثلاثاء الموافق ٢٠١٣/١٢/٢٤م روَّع المواطنين بمدينة المنصورة انفجارٌ هائل استهدف مديرية أمن الدقهلية، ونتج عنه تلفيات هائلة، وإزهاق لأرواح عدد كبير من الأبرياء من المواطنين من رجال الشرطة وإخوانهم المدنيين، فضلاً عن إصابة ما جاوز المائة بالعشرات.

ولا يختلف اثنان في أن هذا الفعل الإجرامي يؤكد بلا ريب استهانة فاعله بالدماء متغافلاً عن وعيد الله عز وجل لمن أراقها؛ حيث جمع المولى سبحانه للقاتل خمس عقوبات لم تجتمع لمرتكب كبيرة سواها، يقول سبحانه: « وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » (الآية (٩٣) من سورة النساء).

ومن أراق هذه الدماء لا ريب أنه في غفلة عن هذا الوعيد، كما أنه في غفلة عن قول النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ» (أخرجه البخاري (٦٨٦٤) من حديث عبد الله بن مسعود)، وهذا الحديث يبين تغليظ أمر الدماء، وأنها أول ما يُقضى فيه بين الناس يوم القيامة، وهذا لعظم أمرها وكثير خطرها.

والقاتل لا يُقبل منه التأويل الفاسد ليجني على غيره؛ لأن الأصل الذي لا يجوز أن يُحادَ عنه هو عصمة الدماء، وإن إراقتها من أشد المحرمات، ولا يجوز المساس بها إلا من قبل ولي الأمر الذي أناط الله عز وجل به إقامة الحدود، وفي مواطن ثلاث بيَّنها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ» (رواه البخاري (٦٨٧٨) ومسلم (١٦٧٦) من حديث عبد الله بن مسعود).

فما يقول هذا القاتل لربه يوم القيامة حينما يأتي القتيل متعلقًا به يقول: أَيْ رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟ كما في حديث ابْنُ عَبَّاس: سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَجِيءُ القتيل مُتَعَلِّقًا بِالْقَاتِلِ تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُ دَمًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي...» (سنن النسائي ٣٩٩٨، وصححه الألباني).

فبما سيجيب هذا القاتل -الذي سَلِمَ أعداؤه من شره، واستطال بأذاه على بني دينه وجنسه- ربه يوم القيامة؟! حينما يسأل هؤلاء القتلى: أَيْ رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنا؟! فكيف برجل كثُر عند الله عز وجل خصماؤه وانقطعت حُجته !!

نسأل الله تعالى أن يحفظ مصر وشعبها، وأن يسلّم بلادنا من كل سوء ومكروه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الآن

مفاجأة سارة



موسوعة التوحيد

ببلاش

- بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بأنحاء الجمهورية .
- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .
- استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقَدَّم ؛ فقط ادفع ٧٥ جنيهاً بعد الاستلام على عشرة أشهر .
- من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزَكًى من الفرع .
- علماً بأن نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق به من قبل الفرع موجود على موقع أنصار السنة وصفحة الفيسبوك الخاصة بكل من رئيس التحرير و صفحة مجلة التوحيد .
- هدية لكل من يرغب في اقتناء كرتونة المجلدات عبارة عن فهرس عام للمجلة وفهرس موضوعي يسلم بعد طبعه للفروع والمشتركين .

ومفاجأة أخرى
المجلد الجديد لعام ١٤٣٣ هـ
موجود الآن: سارع بالحصول عليه بـ ٢٥ جنيها فقط



☎ 23936517